الإيمانُ
بالملائكة وبيانُ صفاتهم

جمع وإعداد
الباحث في القرآن والسنة
علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى
٢٠٠٩ م -١٤٣٠ هـ

((بهانج دار المعمور))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ،وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الإسلامية ، قال تعالى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (٢٨٥) سورة البقرة.

وقد ألفت كتب كثيرة في الإيمان بالملائكة ،قديما وحديثاً ، ومن أهمها كتاب ((عالم الملائكة الأبرار)) لعمر سليمان الأشقر ، وهو كتاب نافع ، ولكنه لم يستقص نا يتعلق بهذا الموضوع . والآيات والأحاديث فيه غير مشكلة ...

وفي كتابي هذا تعرضت فيه للمباحث التالية :

المبحث الأول= ما يتعلق بالإيمان بهم...

المبحث الثاني= صفاتُ الملائكة الخلْقية والخُلُقية

المبحث الثالث = أعمال الملائكة...

المبحث الرابع= الملائكة والأنبياء عليهم السلام....

المبحث الخامس= الملائكة والمؤمنون....

المبحث السادس = خصوصيات بعض المؤمنين مع الملائكة...

المبحث السابع= حقوق الملائكة على المؤمنين....

المبحث التاسع= الملائكة والدار الآخرة....

المبحث العاشر=تفضيل الملائكة أم البشر ....

المبحث الحادي عشر= سَبُّ الْمَلاَئِكَةِ ....

المبحث الثاني عشر= أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين

المبحث الثالث عشر=ثمرات الإيمان بالملائكة
وتحت كل مبحث مطالب عديدة ...
فقد جمعت في هذا الكتاب ما تناثر في غيره من كتب العقيدة حول الإيمان بالملائكة وصفاهم وأعمالهم وعلاقتهم بالإنس ....
والآيات مشكلة ومخرجة ، وغالبها مشروح بشكل مختصر
والأحاديث كلها مشكلة ، وقد استخرجتها من كتب السنة الأساسية مباشرة ، وذكرت حكم كل حديث بذيله في الهامش ، وغالبها تدور بين الصحة والحسن .
ثم ذكرت المصادر بنهاية الكتاب .
نسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه في الدارين .
قال تعالى : {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} (٩٨) سورة البقرة .

جمعه وأعده
الباحث في القرآن والسنة
علي بن نايف الشحود

٣ رجب ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٦/٢٦ /٢٠٠٩ م

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المبحث الأول

ما يتعلق بالإيمان بهم

المطلب الأول

تمهيد

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان ولا يصحُّ الإيمان إلا به ويتضمن الإيمان بوجودهم،وما لهم من الصفات الخِلقية والخُلقية التي يتناسب مع مكانتهم ووظائفهم، وأنهم في عبادة دائبة لربهم،ولهم مقامات مختلفة،وهم درجات عند ربهم،ولكلٍّ منهم مقامٌ معلوم،ويقومون بتدبير أمر الخلائق بأمر ربهم،ومنهم حملة الوحي الإلهي إلى الرسل من البشر عليهم السلام،ولهم صلات حميمة مع عباد الله المؤمنين،كما يسلطهم الله على الكافرين ليترل بهم ما شاء من عقوبات،وهم جند الله في أحداث الساعة،ومنهم خزنة الجنة والنار .

===============

المطلب الثاني

ما الملائكة ؟

التَّعْريفُ بهم:

الْمَلاَئِكَةُ جَمْعُ الْمَلَك بفَتْحَتَيْن ، وَهُوَ وَاحدُ الْمَلاَئكَة ، قيل : مُخَفَّفٌ منْ مَالَك ، قَال الْكسَائيُّ : أَصْلُهُ مَأْلَكٌ بتَقْديم الْهَمْزَة منَ الأُلُوك وَهيَ الرِّسَالَةُ ، ثُمَّ قُلبَتْ وَقُدِّمَت اللاَّمُ وَقيل : أَصْلُهُ الْمَلْكُ بفَتْح ثُمَّ سُكُون : وَهُوَ الأَخْذُ بقُوَّة ، وَأَصْل وَزْنه مَفْعَلٌ فَتُركَت الْهَمْزَةُ لكَثْرَة الاسْتعْمَال وَظَهَرَتْ في الْجَمْع ، وَزِيدَت الْهَاءُ إمَّا للْمُبَالَغَة وَإمَّا لتَأْنيث الْجَمْع[1]

[1] – لسان العرب ، وتاج العروس ، والقاموس المحيط ، وفتح الباري ٦ / ٣٠٦ وما بعدها .

وَفِي الاصْطِلاَحِ : الْمَلَكُ جِسْمٌ لَطِيفٌ نُورَانِيٌّ يَتَشَكَّل بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَسْكَنُهَا السَّمَاوَاتُ .[٢]

أ – الإِْنْسُ :

الإِْنْسُ فِي اللُّغَةِ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَالْوَاحِدُ إِنْسِيٌّ وَأَنَسِيٌّ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُمْ بَنُو آدَمَ ، وَالإِْنْسِيُّ يَقْتَضِي مُخَالَفَةَ الْوَحْشِيِّ ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : إِنْسِيٌّ وَوَحْشِيٌّ[٣] .

وَلاَ يَخْرُجُ الْمَعْنَى الاصْطِلاَحِيُّ عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَلاَئِكَةِ وَالإِْنْسِ : أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ خُلِقُوا مِنْ نُورٍ ، وَلاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرَبُونَ ، وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُطِيعُونَهُ ، قَال اللَّهُ تَعَالَى : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} (٢٦) سورة الأنبياء ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الإِْنْسُ .

ب – الْجِنُّ :

الْجِنُّ فِي اللُّغَةِ : خِلاَفُ الإِْنْسِ ، وَالْجَانُّ : الْوَاحِدَةُ مِنَ الْجِنِّ ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ جِنًّا لاِسْتِتَارِهِمْ عَنِ الْعُيُونِ ، يُقَال : جَنَّ اللَّيْل : إِذَا سَتَرَ .وَلاَ يَخْرُجُ الْمَعْنَى الاصْطِلاَحِيُّ عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ .وَالصِّلَةُ بَيْنَ الْمَلاَئِكَةِ وَالْجِنِّ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا لَهُ قُوَّةُ التَّشَكُّل بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ .[٤]

فالملائكة عباد مكرمون،خلقهم الله من نور،فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »[٥]..

وهم في تسبيح دائم ويدبرون شئون الكون بأمر ربهم وهم لا يفرطون .

قال تعالى: {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ*} (٣٨) سورة فصلت، وقال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

---

[٢] – التعريفات للجرجاني ، وفتح الباري ٦ / ٣٠٦ ط دار المعرفة – بيروت ، وفيض الباري ٤ / ٦ ط دار المعرفة – بيروت ، وشرح الفقه الأكبر ص ٢٠ ط دار الكتب العربية – بيروت .

[٣] – لسان العرب ، والكليات ١ / ٣١٦ ، والمصباح المنير ، والفروق في اللغة ص ٢٢٧ .

[٤] – لسان العرب ، ومختار الصحاح ، والكليات ٢ / ١٦٦ ، وتفسير البيضاوي ٤ / ٢٢٥ ط المكتبة التجارية الكبرى .

[٥] – صحيح مسلم– المكنز – (٧٦٨٧) –المارج : لهب النار المختلط بسواها

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم.

=============

المطلب الثالث

حكم الإيمان بالملائكة

مِنْ أَرْكَانِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ ، قَال اللَّهُ تَعَالَى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (٢٨٥) سورة البقرة ، وَقَال اللَّهُ تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا} (١٣٦) سورة النساء.

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : " قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " قَالَ: صَدَقْتَ." [٦]

فَوُجُودُ الْمَلاَئِكَةِ ثَابِتٌ بِالدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ الَّذِي لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَلْحَقَهُ شَكٌّ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ إِنْكَارُ وُجُودِهِمْ كُفْرًا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، بَل يَنُصُّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآْيَةُ السَّابِقَةُ[٧] .

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

[٦] – صحيح مسلم– المكنز – (١٠٢)

[٧] – شرح العقيدة الطحاوية ٢ / ٤٠١ ط مؤسسة الرسالة ، وفتح الباري ٦ / ٣٠٦ ط دار المعرفة – بيروت ، وإغاثة اللهفان ٢ / ١٢٠ وما بعدها ط مصطفى الحلبي .

المبحث الثاني
صفاتُ الملائكة

إن العلمَ بالملائكة من الأمور الغيبية التي لا يصل إليها العقلُ المجرد،وإنما السبيل لمعرفتهم هو الخبر الصادقُ عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ .

وقد جاءت الأخبار التي تفيد بوجود الملائكة وتذكر صفاتهم الخَلقية والخُلقية :

المطلب الأول
صفاتهم الخَلْقيَّة

١) أولو أجنحة :

ذكر القرآن الكريم أنَّ للملائكة أجنحة. قال تعالى : {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١) سورة فاطر .

وممن زاد الله في عدد أجنحته جبريل عليه السلام،فعَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ زِرًّا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (ففَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) [النجم : ٩ - ١١]) قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ .[٨]

٢) قدراتهم على التمثل بالبشر :

وهب الله سبحانه وتعالى ملائكته القدرة على التمثل بصور البشر. فقال عن جبريل عليه السلام في قصة مريم العذراء {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} (١٧) سورة مريم،وقال في قصة ضيف إبراهيم من الملائكة عليهم السلام الذين جآءوه على صورة بشر {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} (٢٤) سورة الذاريات.وكان جبريل عليه السلام يتمثل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه. وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ،قَالَ : أُنْبِئْتُ ؛أَنَّ جِبْرِيلَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،أَتَى النَّبِيَّ ﷺ،وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ،فَجَعَلَ

---

[٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٨٥٧) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٥٠)

يُحَدِّثُ،ثُمَّ قَامَ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ : مَنْ هَذَا،أَوْ كَمَا قَالَ ؟ قَالَ : قَالَتْ : هَذَا دِحْيَةُ،قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ايْمُ اللهِ،مَا حَسِبْتُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ،حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ،أَوْ كَمَا قَالَ.قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ : مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.."[9]

وعَنْ جَابِرٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ،فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ،كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ،وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ،وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ،صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ،فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ،يَعْنِي نَفْسَهُ،وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ.(رواه مسلم)[10] – يعني أنه يشبهه حين يتمثل في صورته الآدمية .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِى أَبِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ – ﷺ – فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا

---

[9] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٦٣٤) وصحيح مسلم– المكنز – (٦٤٦٩)

[10] – المسند الجامع – (٤ / ٦٩٩) (٢٩٣٠) وصحيح مسلم– المكنز – (٤٤١) –الضرب : الخفيف اللحم الممشوق المستدق

ثُمَّ قَالَ لِى « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »[11].

٣) لا ينالهم سأم ولا عجز ولا فتور في عبادتهم :

عَلاَقَةُ الْمَلاَئِكَة بِاللَّه هِيَ عَلاَقَةُ الْعُبُودِيَّة الْخَالِصَة وَالطَّاعَة وَالامْتِثَال وَالْخُضُوعِ الْمُطْلَقِ لأَوَامِرِه عَزَّ وَجَل ، قَال تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم، وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه ، قَال اللَّهُ تَعَالَى : {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (٢٠٦) سورة الأعراف .

وَهُمْ مُنْقَطِعُونَ دَائِمًا لِعِبَادَةِ اللَّه وَطَاعَة أَمْرِه، كَمَا وَرَدَ فِي الآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ .[12]

وعَنْ جَابِرِ بن عَبْدِ اللَّه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : " مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدمٍ ، وَلا شِبْرٍ ، وَلا كَفٍّ ، إِلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، قَالُوا : جَمِيعًا سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، إِلا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا ".[13]

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: " هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ " قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ إِمَّا سَاجِدٌ، وَإِمَّا قَائِمٌ "[14]

---

[11] - صحيح مسلم- المكتر - (١٠٢) -الأُنف : المستأنف الذى لم يسبق به قدر -يتقفر : يطلب ويتتبع ويجمع

[12] - إغاثة اللهفان ٢ / ١٢٢ .

[13] - المعجم الكبير للطبراني - (٢ / ٢٥٥) (١٧٣٠) والصحيحة (١٠٥٩) حسن لغيره

[14] - شرح مشكل الآثار - (٣ / ١٦٧) (١١٣٤) صحيح

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ "[15]

فالملائكة كثيرو الطاعة والعبادة لله تعالى: حمدا وتسبيحا وتنزيها وطاعةٌ لأوامره دون كللٍ أو مللٍ، قال الله تعالى : {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) }[الأنبياء/١٩-٢٠]

والملائكة،الذين هم عند اللّه بهذا المكان الرفيع، لم تخرج بهم منزلتهم هذه عن أن يكونوا عبادا من عباد اللّه يدينون له بالولاء ويتقربون إليه بالعبادة : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ».. إنهم فى عبادة دائمة متطلة،وذكر للّه لا يفترون عنه!

والسؤال هنا،هو : إذا كان الملائكة على هذا الصفاء النورانى الذي خلقوا منه،وعلى تلك العبادة الدائبة والطاعة الدائمة،فلم هذا الخوف ؟ و لم تلك الخشيه ؟ كما يقول سبحانه : « وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ » (١٣ : الرعد) والجواب على هذا،هو أن الملائكة لقربهم من اللّه سبحانه وتعالى،ولكمال معرفتهم بماله سبحانه وتعالى من جلال وكمال ــ هم أكثر عباد اللّه ولاء للّه،وانقيادا له،وفناء فيه .. فمن كان باللّه أعرف كان منه أخوف،ومن كان إلى اللّه أقرب كان لجلاله وسلطانه أرهب.!

يقول اللّه سبحانه وتعالى : « إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ».. فالعلماء باللّه،العارفون به،هم أكثر الناس خشية له،وولاء لذاته .. والملائكة يعلمون أكثر مما يعلم العالمون من جلال اللّه وسلطانه،وعظمته ..[16]

وقال الله تعالى: {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (٣٨) سورة فصلت.

---

[15] - شرح مشكل الآثار - (٣ / ١٦٨) (١١٣٥) حسن

[16] - التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (٩ / ٨٥٨)

أي إن استكبر هؤلاء المشركون عن عبادة اللّه،وأبوا أن يعطوا ولاءهم خالصـا مطلقـا له،فاللّه سبحانه وتعالى فى غنى عنهم،وإن استكبارهم هـذا سـيوقعهم تحـت غضـب اللّه،الذي لا يرجون له وقارا،ولا يخشون له بأسا .. وهذا ضلال مبين منهم،باستخفافهم بقدرة اللّه وبأس اللّه .. فالملائكة الذين هم أقرب خلق اللّه إليه سبحانه ـــ وهم الملائكة المقربون ـــ لم يكن لهم من هذا القرب ما يخليهم من خوف اللّه وخشيته لحظة واحدة،بل لقد كان خوفهم من اللّه وخشيتهم للّه على قدر قربهم منه .. فكلما ازدادوا قربا من اللّه ازدادوا خوفا وخشية،لأنهم يرون من جلال اللّه،ويشهدون من عظمتـه وقدرتـه مـالا يشهده غيرهم .. وإنه على قدر المعرفة والشهود،تكون الخشية ويكون الولاء،ولهذا فهـم يسبحون الليل والنهار،فى صورة متصلة دائمة،« لا يسأمون » مـن هـذا التسـبيح،ولا يملّون،بل يزدادون مع دوام التسبيح نشاطا وقوة،لما يجدون من لذة ورضا بهـذا الـذكر المتصل الذي لا ينقطع به أنسهم وحبورهم فى مناجاة ربهم ..[17]

وعَنْ حَكِيمِ بن حِزَامٍ،قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ،إِذْ قَالَ لَهُمْ : " تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ " قَالُوا : مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ،قَالَ : " إِنِّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّـمَاءِ،وَمَا تُـلامُ أَنْ تَئِطَّ،وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ "رواه الطبراني.[18]

٤) قدراتهم العظيمة :

لقد خلق الله الملائكة بقدرات عظيمة تتناسب مع ما كلفهم به من أعمال، مثل : تـدبير أمر الخلائق،وحراسة السماء،وإهلاك الظالمين،ونفخ الأرواح وقبضها،ونفخ الصور،والقيام بأعمال خزانة الجنة والنار كما سيأتي تفصيله .

٥) تأذيهم مما يتأذى منه بنو آدم :

---

[17] - التفسير القرآني للقرآن ـــ موافقا للمطبوع - (١٢ / ١٣٢٣)

[18] - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٣٣١) (٣٠٥١) والصحيحة (٨٥٢) وصحيح الجامع (٩٥) صحيح لغيره

-الأطيط : أصوات الإبل والمراد وجود أصوات شديدة دلالة على كثرة الملائكة وازدحامها- أط : صـوت والمـراد كثرت الملائكة فيها حتى أحدثت صوتا وضجة

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ - وَقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » رواه مسلم.[19].

٦) لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون :

قدم النبي إبراهيم عليه السلام لضيفه من الملائكة عجلاً حنيذا فلم يأكلوا منه،قال تعالى :{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)} [الذاريات : ٢٤ - ٢٨]

قوله تعالى : « فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ »..راغ لأهله : أي مال إلى أهله،وانسرب إليهم فى خفة من غير أن يكاشف ضيفه بما يريد من إكرامهم وإعداد الطعام لهم .. فذلك من شأنه أن يحرج الضيف،ويحمله على أن يطلب إلى مضيفه ألّا يفعل

قوله تعالى : « فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ » ؟ ـــ هنا إيجاز حذف دلّ عليه المقام ..أي فقرّبه إليهم،فلم يمدّوا أيديهم إليه،و لم يقبلوا على الأكل منه،كما هو شأن الضيف حين يقدّم إليه .. الطعام فلما رأى ذلك منهم نكرهم،وأوجس منهم خيفة،وقال : « ألا تَأْكُلُونَ ؟ »..

قوله تعالى : « فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ »..وهنا كلام محذوف أيضا .. « قال ألا تأكلون ».. فلم يأكلوا،و لم يستجيبوا لهذه الدعوة المجددة إليهم « فأوجس منهم خيفة » أي فازداد إحساسه بالخوف منهم،وقوى عنده الشعور الذي وقع فى نفسه من أول دخولهم عليه،ولقائهم له ..

« قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم » ـــ أي أنهم حين رأوا ما انطبع على وجه إبراهيم من أمارات التوجس والخوف،سكنوا من روعه،وقالوا له : لا تخف،ثم ألقوا إليه بهذه البشرى المسعدة،وهى أن يولد له الولد الذي كان ينتظره منذ شبابه الأول،وها هو ذا وقد

[19] -صحيح مسلم- المكنز - (١٢٨٢)

بلغ من الكبر عتيّا،وأخلى يديه من هذا الأمل الذي كان يراوده،وخاصة أن امرأته كانت عقيما،ثم اجتمع مع هذا العقم تجاوزها العمر الذي تلد فيه النساء ـــ ها هو ذا يتلقّى هذه البشرى المسعدة.والغلام الذي بشر به هو إسحق،من زوجه سارة .. « والعليم »،مبالغة من العلم،والعلم كان صفة بارزة من صفات إسحق،كما كان الحلم الصفة البارزة فى إسماعيل،كما يقول سبحانه : « فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ » (١٠١ : الصافات).[٢٠]

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون،يسبحون الليل والنهار لا يفترون،وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون وشربون،قال عليه السلام في الروث والعظم : "إنه زاد إخوانكم من الجن" وأيضاً فإنهم يتوالدون قال تعالى : {أَفَتَتَّخِذُونَه وَذُرِّيَّته ا أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى} (الكهف : ٥٠)..[٢١]

٧)- نفي الأنوثة عنهم :

أنكر القرآن الكريم أشد الإنكار على المشركين الذين وصفوا الملائكة بالأنوثة فقال تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (١٩) سورة الزخرف .

وقال في الوجيز : " لا يوصفون بالذكورة والأنوثة،ولا يتناكحون،ولا يتناسلون .والملائكة لا يأكلون ولا يشربون،وإنَّما طعامهم التسبيح والتهليل ولا يملون،ولا يفترون،ولا يتعبون،ويتصفون بالحسن،والجمال،والحياء،والنظام . "[٢٢]

٨)- قابليتهم للفناء والموت :

يجوز في حق الملائكة الفزع والفناء والموت لقوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٨) سورة القصص .

ولقوله تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ } (٦٨) سورة الزمر.

---

[٢٠] - التفسير القرآني للقرآن ـــ موافقا للمطبوع - (١٣ / ٥١٦)

[٢١] - الحبائك في أخبار الملائك - (١ / ٨٨) وتفسير الفخر الرازى ـــ موافق للمطبوع - (١ / ٥٢)

[٢٢] - الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة - (١ / ٥٤)

والملائكة ممن تشملهم الآية لأهم من ساكني السماء،قال تعالى : {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم.

٩)- كثرة عددهم :

قال تعالى في سياق الحديث عن الملائكة : {.. وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} (٣١) سورة المدثر،

إنها كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ومرضى القلوب عند سماع الأخبار عن عالم الغيب وأمور الآخرة من نحو: ما هذا به أبو جهل في أمر خزنة جهنم يشمل ذلك وغيره، فلذلك كان لهذه الجملة حكم التذييل.

والجنود: جمع جند وهو اسم لجماعة الجيش واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابهتها الجنود في تنفيذ المراد.

وإضافة رب إلى ضمير النبي ﷺ إضافة تشريف، وتعريض بأن من شأن تلك الجنود أن بعضها يكون به نصر النبي ﷺ . ونفي العلم هنا نفي للعلم التفصيلي بأعدادها وصفاتها وخصائصها بقرينة المقام، فإن العلم بعدد خزنة جهنم قد حصل للناس بإعلام من الله لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك.[٢٣]

وقوله تعالى : « وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ » هو ردّ على المستهزئين الساخرين،الذي اتخذوا من عدد التسعة عشر مادّة للاستهزاء والسخرية،حتى لقد بلغ بهم القول بأن اللّه لا يملك من الجند إلا هؤلاء التسعة عشر،ولو كان يملك أكثر منهم لجعلهم عشرين لا تسعة عشر .. وكذبوا وضلوا،فإن جنود اللّه لا حصر لها،ولا يعلم عددها إلّا هو سبحانه وتعالى.[٢٤]

---

[٢٣] - التحرير والتنوير - (٢٩ / ٢٩٦)

[٢٤] - التفسير القرآني للقرآن ـــ موافقا للمطبوع - (١٥ / ١٢٩٩)

وقد ورد في حديث الإسراء أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَة يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْه حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "[٢٥]

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ – « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّت السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئطَّ مَا فيهَا مَوْضعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضعٌ جَبْهَتَهُ سَاجدًا للَّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحكْتُمْ قَليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَات تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّه »[٢٦].

١٠) – مخلوقون من نور:

كَمَا أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلاَئِكَةَ منْ نُورٍ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّه –ﷺ – « خُلقَت الْمَلاَئكَةُ منْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ منْ مَارِجٍ منْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ ممَّا وُصفَ لَكُمْ ». (أخرجه مسلم) [٢٧].

فَتَدُل النُّصُوصُ في مَجْمُوعهَا عَلَى أَنَّ الْمَلاَئكَةَ مَخْلُوقَاتٌ نُورَانيَّةٌ لَيْسَ لَهَا جسْمٌ مَادِّيٌّ يُدْرَكُ بِالْحَوَّاسِ الإِنْسَانيَّة ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْبَشَرِ فَلاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرَبُونَ وَلاَ يَنَامُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ ، مُطَهَّرُونَ منَ الشَّهَوَات الْحَيَوَانيَّة ، وَمُنَزَّهُونَ عَنِ الآثَامِ وَالْخَطَايَا ، وَلاَ يَتَّصفُونَ بشَيْءٍ منَ الصِّفَات الْمَادِّيَّة الَّتي يَتَّصفُ بهَا ابْنُ آدَمَ[٢٨]،غَيْرَ أَنَّ لَهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِصُوَرِ الْبَشَرِ بإِذْنِ اللَّه تَعَالَى[٢٩] .

---

[٢٥] – شعب الإيمان – (٥ / ٤٥٥)(٣٧٠٥) وصحيح البخارى- المكنز – (٣٢٠٧) وصحيح مسلم- المكنز – (٤٢٩) مطولا

[٢٦] – سنن الترمذى- المكنز – (٢٤٨٢) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات : جمع صعد وهى الطرقات – تعضد : تقطع

[٢٧] – برقم(٧٦٨٧) -المارج : لهب النار المختلط بسواها

[٢٨] – شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ٢٠ ط دار الكتب العلمية ، وفتح الباري ٦ / ٣٥٣ .

[٢٩] – فتح الباري ٦ / ٣٤٨ – ٣٥١ ط دار الريان للتراث – القاهرة .

لكنه لم يبين لنا النور الذي خُلقوا منه،لذا فإننا لا نستطيع الخوض في ذلك وإنما الواجب الاعتقاد بصحته وصدقه والتوقف عنده.

أما متى خُلقوا فليس هذا أيضا مما ذكر،بل الذي جاءت به النصوص أن خلقهم كان قبلَ خلقِ آدم عليه السلام لأنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم عند خلقه،قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة ،وقال أيضا: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) }سورة الحجر

١١)- عِظمُ خلقهم :

لقد ذكر الله تعالى بعض صفات الملائكة في القرآن العظيم، ومن ذلك عظم خلقهم فقد قال تعالى عن ملائكة النار : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم ،وقال تعالى عن جبريل عليه السلام : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) [الحاقة/٤٠، ٤١] ،وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ ».(أخرجه أبو داود)[30].

فهذه النصوص وغيرها تبين عظمة الملائكة،فالواجب علينا الإيمانُ بكل ما جاء في ذلك،مع أننا لا نستطيع تصور كيفياتهم، إذ كيف نتصور مخلوقات ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع والجناحُ الواحد يسد الأفقَ،وجبريل عليه السلام له ستمائة جناح كما ورد بذلك الحديث. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – جِبْرِيلَ فِى صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ

[30] – برقم(٤٧٢٩) وهو صحيح

جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. (أخرجه أحمد)[31]

===============

المطلب الثاني
صفاهم الخُلقية

١– أدبهم مع خالقهم سبحانه وتعالى :

فلا يقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه أو يأمرهم به. قال سبحانه وتعالى: { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(٢٧)} [الأنبياء:٢٧].

٢– لا يستنكفون عن عبادة ربهم ولا يستكبرون :

قال تعالى: { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(١٧٢)} [النساء:١٧٢]

٣–٤– الكرم والبر :

قال تعالى :{ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) }[عبس : ١٣ – ١٦]

وَهَذِهِ الصُّحُفُ الإِلَهِيَّةُ (الصُّحُفُ الُمكَرَّمَةُ) مُعَظَّمَةٌ مُوَقَّرَةٌ،عَالِيَةُ القَدْرِ،مُطَهَّرَةٌ مِنَ النَّقَائِصِ وَلاَ تَشُوبُهَا الضَّلاَلاَتُ . وَتَتَنَزَّلُ هَذِهِ الصُّحُفُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ بِوَاسِطَةِ سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ هُمُ المَلاَئِكَةُ الُمطَهَّرُونَ،لِيَقُومَ الأَنْبِيَاءُ بِإِبْلاَغِهَا إِلَى النَّاسِ .

وَالمَلاَئِكَةُ السَّفَرَةُ هُمْ كِرَامٌ عَلَى اللهِ،وَأَبْرَارٌ وَأَطْهَارٌ لاَ يُقَارِفُونَ ذَنْباً،وَلاَ يَجْتَرِحُونَ إِثْماً،وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .[32]

قال بن كثير: " أي: خُلقهم كريم حَسَنٌ شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد."[33]

---

[31] – برقم(٣٨٢١) وهو صحيح

[32] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٦٤٩)

وقال الشوكاني: "قال الحسن : كرام عن المعاصي وقيل يتكرمون أن لا يكونوا مع ابـــن آدم إذا خلا بزوجته أو قضى حاجته،وقيل يؤثرون منافع النـــاس علـــى منافعهم،وقيـــل يتكرمون على المؤمنين بالاستغفار لهم. والبررة جمع بار .. أي أتقيـــاء مطيعـــون لـــربهم صادقون في إيمانهم".[34]

٥- الحياء :

عَنْ عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنَىْ يَسَارٍ وَأَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُـــولُ اللَّهِ – ﷺ – مُضْطَجِعًا فِى بَيْتِى كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَـــأَذِنَ لَـــهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْـــتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – وَسَوَّى ثِيَابَهُ – قَالَ مُحَمَّدٌ وَلاَ أَقُولُ ذَلِكَ فِى يَـــوْمٍ وَاحِدٍ – فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَـــالَ « أَلاَ أَسْتَحِى مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِى مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ ».[35]

٦- التعفف عن أماكن المعصية :

نهى الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – عن اقتناء الكلاب في البيوت كما حرم اقتناء التماثيل التي تعبد أو تعظم صيانة للتوحيد وتجنباً للتشبه بالوثنيين،والملائكة تنتزه من دخول هذه الأماكن التي تقع فيها هذه المعاصي فلا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة.

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – يَقُولُ سَـــمِعْتُ أَبَـــا طَلْحَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْـــبٌ وَلاَ صُورَةُ تَمَاثِيلَ »[36] .

---

[33] – تفسير ابن كثير – (٨ / ٣٢١)

[34] – فتح القدير – (٧ / ٤٢٠) والتفسير المنير ـــ موافقا للمطبوع – (٣٠ / ٦٦)

[35] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٣٦٢) -تهتش : تغير من الجلسة

[36] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٢٢٥) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٦٣٦)

وعَنْ أَبِى طَلْحَةَ – رضى الله عنهم – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ » [37].

وعَنْ أَبِى طَلْحَةَ الأَنْصَارِىِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ ».

قَالَ فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا يُخْبِرُنِى أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ – قَالَ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ ». فَهَلْ سَمِعْتِ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – ذَكَرَ ذَلِكَ فَقَالَتْ لاَ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ مَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِى غَزَاتِهِ فَأَخَذْتُ نَمَطًا فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِى وَجْهِهِ فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ وَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ ». قَالَتْ فَقَطَعْنَا مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ وَحَشَوْتُهُمَا لِيفًا فَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَىَّ. [38]

ولا يقربون السكران،والمضمخ بالزَّعْفَرَان،والجنب وجيفة الكافر : فعَن ابْـنِ بُرَيْـدَةَ،عَنْ أَبِيـه،عَن النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ : ثَلاثَـةٌ لا تَقْـرَبُهُمُ الْمَلائِكَـةُ : السَّكْرَانُ،وَالْمُتَضَـمِّخُ بِالزَّعْفَرَانِ،وَالْحَائِضُ،أَوِ الْجُنُبُ. [39]

وعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ « ثَلاَثَةٌ لاَ تَقْرَبُهُمُ الْمَلاَئِكَةُ جِيفَةُ الْكَافِرِ وَالْمُتَضَمِّخُ بِالْخَلُوقِ وَالْجُنُبُ إِلاَّ أَنْ يَتَوَضَّأَ » [40].

٧–عبادة الملائكة لربهم :

الملائكة في عبادة دائمة وطاعة مطلقة،وهم معصومون من ارتكاب المعصية متعبدون بالطاعة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم.

---

[37] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٣٢٢)

[38] – صحيح مسلم– المكنز – (٥٦٤١ و٥٦٤٢) –النمط : نوع من البُسُط رقيق كالقطيفة

[39] – الصحيحة (١٨٠٤) وصحيح الجامع (٣٠٦٠) وكشف الأستار – (٣ / ٣٥٤) (٢٩٢٩) صحيح لغيره

[40] – سنن أبي داود – المكنز – (٤١٨٢) حسن

يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا باللهِ وَمَلاَئكَتِـــهِ وَكُتُبِـــهِ وَرُسُـــلِه،اعْمَلُوا بِطَاعَـــةِ اللهِ تَعَـــالَى،وَاتَّقُوا مَعْصَيَتَهُ،وَأمُرُوا أَهْلَكُمْ بالذّكْرِ والتَّقْوَى،وَعَلِّمُوهُمْ مَـــا فَـــرَضَ اللهُ عَلَيهِمْ،وَمَـــا نَهَـــاهُمْ عَنْهُ،وَأمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ لِتُنقذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ،التي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِـــنَ الكَفَرَةِ،وَالحِجَارَةُ،وَتَقُومُ عَلَيهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ،أَشِدَّاءُ عَلَـــيهِمْ،لاَ يُخَـــالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ،وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .[41]

فهم من ذلك الخلق المغيب الذي لا يعلم طبيعته وقوته إلا اللّه وقد قال لنا عنهم : إنهـــم «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» فقرر أنهم يطيعون ما يأمرهم به اللّه،وأن بهم القدرة على فعل ما يأمرهم. فهم إذن مزودون بالقوة التي يقدرون بها على كـــل مـــا يكلفهم اللّه إياه. فإذا كان قد كلفهم القيام على سقر،فهم مزودون من قبلـــه ســـبحانه بالقوة المطلوبة لهذه المهمة،كما يعلمها اللّه،فلا مجال لقهرهم أو مغالبتهم من هؤلاء البشر المضعوفين![42]

ومن عبادتهم أنهم يشهدون لله بالألوهية والوحدانية : قال تعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) ســـورة آل عمران.

شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقَرَنَ شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجلِّ مشهود عليه، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليـــه شـــيء أراده، الحكيم في أقواله وأفعاله.[43]

ومن عبادتهم أنهم لا يفترون عن تسبيحهم لله وتقديسهم له سبحانه. قال تعالى: { وَلَـــهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِـــرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) [الأنبياء : ١٩،٢٠] }

---

[41] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١٣)

[42] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٧٥٨)

[43] - التفسير الميسر - (١ / ٣١٧)

ولله جَميعُ المَخْلوقات في السَّمَاوَاتِ والأرْضِ،خَلْقاً وَمُلْكـــاً وتَـــدْبيراً وَتَصَــرُّفاً،وإحياءً وحسَاباً . . . دُونَ أَنْ يَكُونَ لأحَد فِي ذَلكَ شَيءٌ مِنْ سُلْطَان .

ثَمَّ يَقُولُ تَعَالى : إنَّ الملائكَةَ،الذينَ شَرُفَتْ مَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم،لاَ يَسْتَعْظِمُونَ عِبَادَتَــهُ،ولاَ يَكِلُّونَ عَنْهَا،وَلاَ يَتْعَبُونَ،وَلاَ يَتوقَّفُونَ .[44]

وقد حكى الله عنهم أنهم قالوا له سبحانه : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِــلٌ فِــي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَــبِّحُ بِحَمْــدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة.

ومن عبادتهم أنهم يقومون للصلاة بين يدي ربهم صفوفاً مستقيمة. قال تعالى حاكياً قولهم وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَــنَحْنُ الْمُسَــبِّحُونَ (١٦٦) [الصافات : ١٦٤ - ١٦٦].

وَإِنَّ لِكُلٍّ مِنَّا مَرْتَبَةً لاَ يَتَجَاوَزُهَــا فِــي العِبَــادَةِ والانْتِهَــاءِ إِلَــى أَمْــرِ الله،خُضُــوعاً لِعَظَمَتِه،وَخُشُوعاً لِهَيْبَتِه .وَإِنَّا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَمَنَازِلِ الكَرَامَاتِ،لِكُلٍّ مِنّا مَنْزِلَةٌ لاَ يَتَعَدَّاهَا،وَمَرْتَبَةٌ لاَ يَتَخَطَّاهَا .

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ - « فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ جُعِلَــتْ صُــفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَــمْ نَجِدِ الْمَاءَ ». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ)[45] .

وَإِنَّنَا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي الصَّلاَةِ فَنُسَبِّحُ الرَّبَّ،وَنُمَجِّدُهُ،وَنُنَزِّهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ،فَنَحْنُ عَبِيــدٌ لَهُ،فُقَرَاءُ إِلَيْه،خَاضِعُونَ لأَمْرِه .[46]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه - ﷺ - فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُــمْ رَافِعِــى أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِى الصَّلاَةِ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًــا فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُمْ عِزِينَ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « أَلاَ تَصُــفُّونَ كَمَــا تَصُــفُّ

[44] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٤٥٢)

[45] - صحيح مسلم- المكتر - (١١٩٣)

[46] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٨٣١)

الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ « يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ »[٤٧].

ومن عبادتهم عمرانهم للبيت المعمور بالصلاة قال عليه الصلاة والسلام وهو يحكي رحلة الإسراء والمعراج : (رُفِعَ لِىَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك،إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)[٤٨]

ومن عبادتهم السجود لله رب العالمين : عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ »[٤٩].

وهم في خشية دائمة لربهم وإشفاق منه سبحانه. قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } (٢٨) سورة الأنبياء.

وينفذون كل ما يأمرهم به الله قال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم .

===============

المطلب الثالث

مقامات الملائكة

[٤٧] - صحيح مسلم- المكنز - (٩٩٦)

الحلق : جمع حلقة -الشمس : جمع شموس وهى النَّفور التى لا تستقر ولا تسكن لشغبها وحدتها -العزين : جمع عزة وهى الحلقة المجتمعة من الناس

[٤٨] - صحيح البخارى- المكنز - (٣٢٠٧)

[٤٩] - سنن الترمذى- المكنز - (٢٤٨٢) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات : جمع صعد وهى الطرقات - تعضد : تقطع

إن للملائكة مترلة رفيعة عند الله،ولهم مع ذلك مقامات متعددة ومنازل متفاوتـــة. قـــال تعالى: { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } [الصافات:١٦٤] .

قالت الملائكة: وما منا أحدٌ إلا له مقام في السماء معلوم، وإنا لنحن الواقفون صـــفوفًا في عبادة الله وطاعته، وإنا لنحن المترِّهون الله عن كل ما لا يليق به.[٥٠]

وفي الحديث عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِىِّ عَنْ أَبِيهِ – وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَــدْرٍ – قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِىِّ – ﷺ – فَقَالَ « مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِـــنْ أَفْضَـــلِ الْمُسْلِمِينَ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ » [٥١].

وأشهر الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام

١– مقام جبريل عليه السلام :

اصطفى الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فجعله أميناً على وحيه وسفيراً إلى أنبيائـــه ورسله ووصفه بصفات لم يصف بها غيره من الملائكة .

* **فسماه روح القدس**. قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّـــذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل:١٠٢].

* **كما شرفه فخصه بالذكر** وقدمه في الترتيب على سائر الملائكة في القرآن الكريم فقال تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم:٤].

* **ومدحه بست صفات** في معرض تبليغه للقرآن الكريم – قال تعالى : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩)ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(٢٠)مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِـــينٍ(٢١)} [التكـــوير:١٩–٢١].

بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ قَالَ إِنَّ مَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ لَيْسَ بِكِهَانَةٍ،وَلاَ افْتِرَاءٍ عَلَى اللهِ،وَإِنَّما هُوَ قَوْلٌ نَزَلَ عَلَيهِ وَحْياً مِنْ رَبِّهِ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيـــلَ عَلَيْـــهِ السَّلاَمُ . وَوَصَفَ تَعَالَى جِبْرِيلَ بِأَنَّهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ،أَيْ عَزِيزٌ عَلَى رَبِّهِ .

[٥٠] – التفسير الميسر – (٨ / ١٥٤)

[٥١] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٩٩٢)

ثُمَّ يُتَابِعُ تَعَالَى وَصْفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُ : إِنَّهُ ذُو قُوَّةٍ فِي الحِفْظِ وَالبُعْدِ عَنِ النِّسْيَانِ وَالخَطَإِ وَهُوَ ذُو جَاهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ صَاحِبِ العَرْشِ أَيْ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ . تُطِيعُهُ المَلاَئِكَةُ وَيَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ،وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ،وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى إِبْلاَغِ وَحْيِ رَبِّهِ وَرِسَالاَتِهِ،وَقَدْ عَصَمَهُ اللهُ مِنَ الخِيَانَةِ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ رَبُّهُ،وَمِنَ الزَّلَلِ وَالخَطَإِ[52].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } يعني: أن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم، أي: ملك شريف حَسَن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل، عليه الصلاة والسلام. قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مِهْران، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم.

{ ذِي قُوَّةٍ } كقوله { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ [فَاسْتَوَى] (٥) } [النجم: ٥، ٦]، أي: شديد الخَلْق، شديد البطش والفعل، { عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة.

{ مُطَاعٍ ثَمَّ } أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى.

قال قتادة: { مُطَاعٍ ثَمَّ } أي: في السموات، يعني: ليس هو من أفناد الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، مُعتَنى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله: { أَمِينٍ } صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدا ﷺ بقوله: { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ }[53]

٢- ميكائيل – عليه السلام

قرن النبي ﷺ ميكائيل مع جبرائيل وإسرافيل في دعائه عند استفتاحه لصلاة الليل قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَىِّ شَىْءٍ كَانَ نَبِىُّ اللَّهِ – ﷺ – يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ « اللَّهُمَّ رَبَّ

---

[52] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٦٩٦)

[53] – تفسير ابن كثير – (٨ / ٣٣٨)

جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[54].

وقد ناصب اليهود العداء لجبريل عليه السلام وادعوا موالاة ميكائيل معللين عداوتهم لجبريل بأنه إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء عَنْ أَنَسٍ – رضى الله عنه – قَالَ بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – الْمَدِينَةَ،فَأَتَاهُ،فَقَالَ إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِىٌّ،{ قَالَ مَا } أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « خَبَّرَنِى بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ » . قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ . وَأَمَّا الشَّبَهُ فِى الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِىَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ،وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا » . قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ،إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلاَمِى قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِى عِنْدَكَ،فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « أَىُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ » . قَالُوا أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْبَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ » . قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا . وَوَقَعُوا فِيهِ[55] .

فإذا كان جبريل عليه السلام وكِّل بالوحي الذي تحيا به الأرواح،فإن ميكائيل موكل بالقطر والنبات الذي تحيا به الأبدان،وبعملهما تتكامل المنة الربانية والعظمة الإلهية على خلقه أجمعين".[56]

[54] – صحيح مسلم– المكتر – (١٨٤٧)

[55] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٣٢٩)

[56] – علم الإيمان – (١ / ١٤٢) ولمزيد من الفائدة انظر إغاثة اللهفان لابن القيم : ٢/١٢٧–١٢٨ .

٣- إسرافيل عليه السلام :

وقد ذكره النبي ﷺ في دعائه كما تقدم وقرنه بجبريل وميكائيل عليهم السلام،وقد اشتهر أنه هو الذين ينفخ في الصور،قال الحافظ ابن حجر :- اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ونقل فيه الحليمي الإجماع.[٥٧]

وعَنْ أَبِى سَعِيد قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ ». فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِىِّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُمْ « قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا »[٥٨].

٤- حملة العرش :

عرش الله مخلوق عظيم يليق بعظمة الله سبحانه،قال تعالى : {فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(١٢٩)} [التوبة:١٢٩].

وقد وكل الله بحمل هذا العرش العظيم ملائكة يسبحون بحمد ربهم. قال تعالى : {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٧) سورة غافر.

وبين القرآن عدد حملة العرش يوم القيامة فقال سبحانه {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة .

وبيَّن الرسول ﷺ - عظَم خلق حملة العرش. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ »[٥٩].

٥- المقربون :

---

[٥٧] - فتح الباري لابن حجر - (١١ / ٣٦٨)

[٥٨] - سنن الترمذى- المكنز - (٢٦١٨) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[٥٩] - سنن أبي داود - المكنز - (٤٧٢٩) صحيح

لله ملائكة مقربون يشيعون أرواح المؤمنين من كل سماء إلى السماء السابعة كما جـــاء في حديث البراء بن عازب المشهور: "... فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وُجِدَتْ فَتَعْــرُجُ بِــهِ الْمَلاَئِكَةُ فَلاَ يَأْتُونَ عَلَى جُنْدٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الــرُّوحُ ؟ فَيُقَــالُ : فُلاَنٌ،بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى بَابِ سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ وَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} فَيُكْتَبُ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ"[٦٠] .



[٦٠] - مسند الطيالسي - (٢ / ١١٤) (٧٨٩) صحيح

المبحث الثالث

أعمال الملائكة

قَال ابْنُ الْقَيِّمِ : " دَل الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَصْنَاف الْمَلاَئِكَة ، وَأَنَّهَا مُوَكَّلَـةٌ بِأَصْـنَاف الْمَخْلُوقَات ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَكَّل بِالْجِبَال مَلاَئِكَةً ، وَوَكَّل بِالسَّحَاب مَلاَئِكَةً ، وَوَكَّـل بِالرَّحِمِ مَلاَئِكَةً تُدَبِّرُ أَمْرَ النُّطْفَة حَتَّى يَتِمَّ خَلْقُهَا ، ثُمَّ وَكَّل بِالْعَبْـد مَلاَئِكَـةً لِحِفْظِـه ، وَمَلاَئِكَةً لِحِفْظ مَا يَعْمَلُهُ وَإِحْصَائِه وَكِتَابَتِه ، وَوَكَّل بِالْمَوْت مَلاَئِكَةً ، وَوَكَّل بِالسُّـؤَال فِي الْقَبْرِ مَلاَئِكَةً ، وَوَكَّل بِالأَْفْلاَك مَلاَئِكَةً يُحَرِّكُونَهَا ، وَوَكَّل بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَلاَئِكَةً ، وَوَكَّل بِالنَّارِ وَإِيقَادِهَا وَتَعْذِيب أَهْلِهَا وَعِمَارَتِهَا مَلاَئِكَةً ، وَوَكَّل بِالْجَنَّـة . وَعِمَارَتِهَـا وَغِرَاسِهَا وَعَمَل الأَْنْهَارِ فِيهَا مَلاَئِكَةً ، فَالْمَلاَئِكَةُ أَعْظَمُ جُنُود اللَّه تَعَـالَى ، وَمِـنْهُمْ : { وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَات ذِكْرًا } (سورة المرسلات / ١ – ٥) ،وَمِـنْهُمْ : { وَالنَّازِعَـات غَرْقًـا وَالنَّاشِـطَات نَشْـطًا وَالسَّابِحَات سَبْحًا فَالسَّابِقَات سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَات أَمْرًا } (سورة النازعـات / ١ – ٥) ، وَمِنْهُمْ : { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَات ذِكْرًا } (سورة الصافات / ١ – ٣) .

وَمِنْهُمْ : مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَة وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَاب ، وَمَلاَئِكَةٌ قَدْ وُكِّلُوا بِحَمْل الْعَرْشِ ، وَمَلاَئِكَةٌ قَدْ وُكِّلُوا بِعِمَارَة السَّمَاوَات بِالصَّلاَة وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِـنْ أَصْـنَاف الْمَلاَئِكَة الَّتِي لاَ يُحْصِيهَا إِلاَّ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَفْظُ الْمَلَك يُشْعِرُ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مُنَفِّذٌ لأَمْرِ غَيْرِه ، فَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَْمْرِ شَيْءٌ ، بَل الأَْمْـرُ كُلُّهُ لِلَّه الْوَاحِد الْقَهَّارِ ، وَهُمْ يُنَفِّذُونَ أَمْرَهُ { لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْل وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَته مُشْـفِقُونَ } (سورة الأنبياء / ٢٧ ، ٢٨) ، { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (سورة النحل / ٥٠) ، { لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (سورة التحريم / ٦) .

وَلاَ تَتَنَزَّل الْمَلاَئكَةُ إلاَّ بِأَمْرِ اللَّه ، وَلاَ تَفْعَل شَيْئًا إلاَّ مِنْ بَعْد إِذْنه .
وَرُؤَسَاؤُهُمُ الأَمْلاَكُ الثَّلاَثُ : جبْريل ، وَميكَائيل ، وَإسْرَافيل ، قال أَبُو سَلَمَةَ بْــنُ عَبْــد الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف: سَأَلْتُ عَائشَةَ أُمَّ الْمُؤْمنِينَ بأَىِّ شَىْءٍ كَانَ نَبِىُّ اللَّــه -ﷺ- يَفْتَــتحُ صَلاَتَهُ إذَا قَامَ منَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إذَا قَامَ منَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ « اللَّهُــمَّ رَبَّ جبْرَائيــلَ وَميكَائيلَ وَإسْرَافيلَ فَاطرَ السَّمَوَات وَالأَرْضِ عَالمَ الْغَيْب وَالشَّهَادَة أَنْتَ تَحْكُــمُ بَــيْنَ عبَادكَ فيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلفُونَ اهْدنى لمَا اخْتُلفَ فيه منَ الْحَقِّ بإذْنكَ إنَّكَ تَهْدى مَــنْ تَشَاءُ إلَى صرَاط مُسْتَقيم »[61] .
فَتَوَسَّل إلَيْه سُبْحَانَهُ برُبُوبيَّته الْعَامَّة وَالْخَاصَّة لهَؤُلاَء الأَمْلاَك الثَّلاَثَة الْمُوَكَّلينَ بالْحَيَاة .
فَجبْريل مُوَكَّلٌ بالْوَحْيِ الَّذي به حَيَاةُ الْقُلُوب وَالأَرْوَاحِ ، وَميكَائيل وُكِّل بالْقَطْرِ الَّذي بَهْ حَيَاةُ الأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ ، وَإسْرَافيل مُوَكَّلٌ بالنَّفْخِ في الصُّور الَّذي به حَيَاةُ الْخَلْق بَعْدَ مَمَاتهمْ .[62]

ويوضح هذا أيضا ما رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ - لجبْريلَ « أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ ممَّا تَزُورُنَا » قَالَ فَنَزَلَتْ {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِــأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّــكَ نَسِــيًّا} (٦٤) ســورة مريم.[63] .

ومن تلك الأعمال التي يقوم بها الملائكة ما يأتي :

١- إعمارُ السموات بالعبادة :

خلق الله السماوات السبع وجعل الملائكة الكرام يعمرونها بالتسبيح والتمجيد والعبــادة الدائمة والطاعة المطلقة. جاء في حديث الإسراء :- " ..فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،فَسَأَلْتُ

---

[61] - صحيح مسلم- المكنز - (١٨٤٧)

[62] - إغاثه اللهفان ٢ / ١٢١ - ١٢٢ .

[63] - صحيح البخارى- المكنز - (٣٢١٨)

جِبْرِيلَ،فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،إِذَا خَرَجُوا لَـمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخرَ مَا عَلَيْهِمْ .."[64]

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِـعٌ جَبْهَتَـهُ سَاجِدًا لِلَّهِ. وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَـاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ ». وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّـى كُنْـتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ. [65]

٢- تدبير أمر الخلائق :

قال تعالى :{ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْـطًا (٢) وَالسَّـابِحَاتِ سَـبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) } [النازعات : ١ - ٥]

وقوله : غَرْقاً اسم مصدر من أغرق،وأصله إغراقا. والإغـراق في الشـيء،المبالغة فيـه والوصول به إلى نهايته،يقال : أغرق فلان هذا الأمر،إذا أوغل فيه،ومنه قوله : نزع فـلان في القوس فأغرق،أى : بلغ غاية المد حتى انتهى إلى النّصل.

وهو منصوب على المصدرية،لالتقائه مع اللفظ الذي قبله في المعنى،وكذلك الشأن بالنسبة للألفاظ التي بعده،وهي : « نشطا » و« سبحا » و« سبقا ».

والمعنى : وحق الملائكة الذين يترعون أرواح الكافرين من أجسـادهم،نزعا شـديدا،يبلغ الغاية في القسوة والغلظة.

ويشير إلى هذا المعنى قوله - تعالى - في آيات متعددة،منها قوله - سبحانه - : وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا،الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ.

[64] - أخرجه البخارى- المكنز - (٣٢٠٧) ومسلم وغيرهما مطولاً المسند الجامع - (١٥ / ٥٧) (١١٣٢١)

[65] - سنن ابن ماجه- المكنز - (٤٣٣٠) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات : جمع صعد وهى الطرقـات - تعضد : تقطع

وقوله : وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً : المقصود به طائفة أخرى من الملائكـــة. والناشـــطات مـــن النّشط،وهو السرعة في العمل،والخفة في أخذ الشيء،ومنه الأنشوطة،للعقدة التي يســـهل حلها،ويقال : نشطت الدلو من البئر – من باب ضرب – إذا نزعتها بسرعة وخفة.

أى : وحق الملائكة الذين ينشطون ويسرعون إسراعا شديدا لقبض أرواح المؤمنين بخفـــة وسهولة ويقولون لهم – على سبيل البشارة والتكريم – : يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً.

وقوله – سبحانه – : وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً قسم ثالث بطائفة ثالثة من طوائف الملائكة،التي تســـبح في هـــذا الكـــون،أى : تنطلـــق بســـرعة لتنفيـــذ أمـــر اللّـــه – تعـــالى – ،ولتسبيحه،وتحميده،وتكبيره،وتقديسه.

أى : وحق الملائكة الذين يسرعون التنقل في هذا الكون إسراعا شديدا،لتنفيذ ما كلفهم – سبحانه – به،ولتسبيحه وتتريهه عن كل نقص ...

وقوله – تعالى – : فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً المقصود به طائفة رابعة من الملائكة،تسبق غيرهـــا في تنفيذ أمر اللّه – تعالى –،إذ السبق معناه : أن يتجاوز السائر من يسير معه،ويســـبقه إلى المكان المقصود الوصول إليه،كما قال – تعالى – في صفات المتقين : أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ.

وقوله : فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً المقصود به طائفة خامسة من الملائكة،من وظائفهم تدبير شـــأن الخلائق،وتنظيم أحوالهم بالطريقة التي يأمرهم – سبحانه – بها،فنسبة التدبير إليهم،إنما هي على سبيل المجاز،لأن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقضاء اللّه وتقديره وتدبيره.

والمراد بالأمر : الشأن والغرض المهم،وتنوينه للتعظيم،ونصبه على المفعولية للفظ المدبرات.

أى : وحق الملائكة الذين يرتبون شئون الخلائق،وينظمون أمورهم بالطريقة التي يكلفهم – سبحانه – بها.[٦٦]

وقال تعالى : { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(٤)} [القدر:٤].

[٦٦] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١٥ / ٢٦٣) و تفسير الكشاف ج ٤ ص ٦٩٣و تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٣٧٢ وتفسير ابن كثير – (١٨ / ٢٩٠)

فهذه الآية واضحة النص والدلالة على أن الملائكة وجبريل عليهم السلام يترلون بالأوامر من الله سبحانه وتعالى في ليلة القدر من كل عام في العشر الأواخر من رمضان .

٣- حراسة السماء :

جعل الله سبحانه وتعالى ملائكة موكلة بحفظ السماء وحراستها من الشياطين. قال تعالى: { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا(٨) } [الجن:٨].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : "أي حفظة يعني الملائكة ".[٦٧]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ رَسُولاً،وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ،حَفظَ اللهُ القُرْآنَ مِنَ الجِنِّ إِذْ مُلِئَت السَّمَاءُ حَرَساً شَدِيداً،وَحُفظَتْ مِنْ جَميعِ أَرْجَائِهَا،وَطُرِدَت الشَّيَاطِينُ مِنْ مَقَاعِدهَا لئَلاَّ يَسْتَرِقُوا سَمْعَ شَيءٍ مِنَ القُرْآن،فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الجِنَّ قَالُوا : لَقَدْ طَلَبْنَا خَبَرَ السَّمَاءِ (لَمَسْنَا السَّمَاءَ) كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا بِذَلِكَ فَوَجَدْنَاهَا قَدْ مُلِئَتْ حَرَساً شَديداً،وَشُهُباً تَحْرُسُهَا مِنْ كُلِّ جَانبٍ،وَتَمْنَعُنَا مِنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ .[٦٨]

٤- حماية الرسل والوحي :

أحاط الله رسله بملائكة يحفظوهم حتى يبلغوا رسالة رهم. قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧)لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا(٢٨)} [الجن:٢٦-٢٨] .قال الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : {.. فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧) } [الجن:٢٧] " أَيْ يَخُصُّهُ بِمَزِيدِ مُعَقِّبَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَة يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّه وَيُسَانِدُونَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْي اللَّه "[٦٩].

[٦٧] - تفسير القرطبي ـــ موافق للمطبوع - (١٩ / ١١)

[٦٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٣٣)

[٦٩] - تفسير ابن كثير - (١٨ / ٣٠)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَوْلُهُ : إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا قَالَ : هِيَ مُعَقِّبَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ،وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ".[٧٠].

٥- سوقُ السحب وإنزال المطر :

إن ما نشاهده من سير السحب وتنقلها من مكان إلى آخر قد يظن بعض الناس أن هذا من تلقاء نفسها،أو أن الطبيعة العمياء هي التي تصرفها وتوجهها،ولكن الأمر غير ذلك،فإن هذا الأمر المشاهد والمنضبط بالسنن الربانية تسيره الملائكة بأمر خالقها سبحانه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ نَسْأَلُكَ،عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ،وَصَدَّقْنَاكَ وَآمَنَّا بِكَ . قَالَ : فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ،قَالُوا : اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ،قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : " تَنَامُ عَيْنَاهُ،وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ "،قَالُوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذْكِرُ ؟ قَالَ : " يَلْتَقِي الْمَاءَانِ،فَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ،وَإِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ " قَالُوا : صَدَقْتَ،قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : " مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ " قَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ ؟ قَالَ : " زَجْرَةُ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ "،قَالُوا : صَدَقْتَ . قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؟ قَالَ : " كَانَ يَسْكُنُ الْبَدْوَ،فَاشْتَكَى فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا "،قَالُوا : صَدَقْتَ،قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَأْتِيهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالرِّسَالَةِ،وَالْوَحْيِ،فَمَنْ صَاحِبُكَ ؟ فَإِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ قَالَ : " جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " قَالُوا : ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ،ذَلِكَ عَدُوُّنَا،لَوْ قُلْتَ : مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ تَابَعْنَاكَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (٩٧) سورة البقرة"[٧١]

---

[٧٠] - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ (٣٢٥٩١) و تفسير ابن كثير - (٨ / ٢٤٧) وفيه ضعف

[٧١] - الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ (١٢٢٦١) وسنن الترمذى- المكنز - (٣٤٠٦) صحيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ،فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ،فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ،فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ،فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَد اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ،فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ،فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ،فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : فُلَانٌ – لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ – فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ،لِاسْمِكَ،فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا،فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا،فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ،وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا،وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ "[٧٢]

غيث الاستقاء :

ويظهر عمل الملائكة الموكلة بالقطر جلياً في سوق السحاب وإنزال المطر في الأماكن التي لجأ أهلها إلى الله طالبين السقيا بصلاة الاستسقاء،مما يدلُّ على أن هذا السحاب يساق والمطر يترل إلى المكان المطلوب بفعل الملائكة كما جاء في الحديث السابق (اسق حديقة فلان) .

وقد ورد ذكره في حديث آخر فعن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَىِّ شَىْءٍ كَانَ نَبِىُّ اللَّهِ – ﷺ – يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(أخرجه مسلم)[٧٣] .

ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة .

٦– الموكَّلُ بالجبال :

[٧٢] – صحيح مسلم– المكتر – (٧٦٦٤) –الحرة : أرض بها حجارة سوداء كثيرة –المسحاة : أداة القشر والجرف المصنوعة من الحديد –الشرجة : مسيل الماء

[٧٣] – صحيح مسلم برقم(١٨٤٧)

وكَّل الله سبحانه وتعالى بالجبال الرواسي مَلَكاً،هو ملك الجبال كما جاء في الحديث عَنْ عُرْوَةَ ؛ أَنَّ عَائشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ،انَّهَا قَالَتْ للنَّبيِّ ﷺ : هَلْ اتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ اشَدَّ منْ يَوْمِ اُحُد ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقيتُ منْ قَوْمك مَا لَقيتُ،وَكَانَ اشَدُّ مَا لَقيتُ منْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَة إذْ عَرَضْتُ نَفْسي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَاليلَ بْن عَبْد كُلال فَلَمْ يُجبْني إلَى ما ارَدْتُ،فَانْطَلَقْتُ وَانَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهي،فَلَمْ اسْتَفقْ إلاَّ وَانَا بقَرْن الثَّعَالب،فَرَفَعْتُ رَاْسي،فَإذَا انَا بسَحَابَة قَدْ اظَلَّتْني،فَنَظَرْتُ فَإذَا فيهَا جبْريلُ،فَنَادَاني فَقَالَ : إنَّ اللَّهَ قَدْ سَمعَ قَوْلَ قَوْمكَ لَكَ،ومَا رَدُّوا عَلَيْكَ،وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الْجبَال لتَاْمُرَهُ بمَا شئْتَ فيهمْ،فَنَادَاني مَلَكُ الْجبَال،فَسَلَّمَ عَلَيَّ،ثُمَّ قَالَ : يَامُحَمَّدُ،فَقَالَ : ذَالكَ فيمَا شئْتَ إنْ شئْتَ أَنْ اطْبقَ عَلَيْهمُ الاخْشَبَيْن ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : بَلْ ارْجُوا أَنْ يُخْرجَ اللَّهُ منْ اصْلابهمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْركُ به شَيْئًا. »[٧٤] .

٧- حراسةُ مكة والمدينة من الدجال :

جعل الله سبحانه وتعالى ملائكة تحرسُ مكة والمدينة من دخول الدجال إليهما،فعن أَنَس بْنِ مَالك – رضى الله عنه – عَنِ النَّبىِّ – ﷺ – قَالَ « لَيْسَ منْ بَلَد إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ،إلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدينَةَ،لَيْسَ لَهُ منْ نقَابهَا نَقْبٌ إلاَّ عَلَيْه الْمَلاَئكَةُ صَافِّينَ،يَحْرُسُونَهَا،ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدينَةُ بأَهْلهَا ثَلاَثَ رَجَفَات،فَيُخْرجُ اللَّهُ كُلَّ كَافرٍ وَمُنَافقٍ »[٧٥] .

النقب في اللغة : هو الخرق في الجلد أو الجدار أو نحوهما والأنقاب جمع نقب. وعندما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لم يكن في مكة والمدينة نقب واحد، أما اليوم فمكة محاطة بالأنقاب التي أصبحت مداخل رئيسة إلى مكة،وللمدينة بعض الأنقاب .

وعن أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " لَيْسَ منْ بَلَدٍ إلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلَّا مَكَّةَ وَالْمَدينَةَ "[٧٦]

---

[٧٤] – صحيح البخارى- المكنز – (٣٢٣١) وصحيح مسلم- المكنز – (٤٧٥٤)

-الاسْتفاقة : اسْتفعال من أفاق إذا رَجع إلى ما كان قد شُغل عنه وعاد إلى نفسه – الأخشبان : الجبلان المُطيفان بمكة ، وهما أبو قُبَيْس والأحمر ، سُمِّيا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما -الصلب : ظهر الرجل وهو مصدر المني

[٧٥] – صحيح البخارى- المكنز – (١٨٨١) وصحيح مسلم- المكنز – (٧٥٧٧)

[٧٦] – أخبار مكة للفاكهي – (٢ / ٢٦٣) (١٤٨٣) صحيح

وقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالك : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لَيْسَ منْ بَلَد إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدينَةَ،لَيْس نَقْبٌ منْ أَنْقَابهَا إلاَّ عَلَيْه الْمَلاَئكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا،فَيَنْزِلُ السَّبَخَةَ،فَتَرْجُفُ الْمَدينَةُ بأَهْلهَا ثَلاَثَ رَجَفَات يَخْرُجُ إلَيْه كُلُّ كَافر وَمُنَافق.

وعَنْ أَنَس،عَن النَّبيِّ ﷺ،قَالَ : الْمَدينَةُ يَأْتيهَا الدَّجَّالُ،فَيَجدُ الْمَلاَئكَةَ يَحْرُسُونَهَا،فَلاَ يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلاَ الطَّاعُونُ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وعَنْ أَبي بَكْرَةَ،أَنَّ النَّبيَّ ﷺ،قَالَ : لاَ يَدْخُلُ الْمَدينَةَ رُعْبُ الْمَسيحِ،لَهَا يَوْمَئذ سَبْعَةُ أَبْوَاب عَلَى كُلِّ بَاب مَلَكَان."[٧٧]

٨- الموكَّلُ بالرحم وتصوير الأجنَّة :

ثبت في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك،عَن النَّبيِّ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:إنَّ اللَّهَ،عَزَّ وَجَلَّ،قَدْ وَكَّلَ بالرَّحمِ مَلَكًا،فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ،أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ،فَإذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضيَ خَلْقًا،قَالَ : قَالَ الْمَلَكُ : أَيْ رَبِّ،ذَكَرٌ،أَوْ أُنْثَى ؟ شَقيٌّ،أَوْ سَعيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلكَ في بَطْنِ أُمِّه."[٧٨]

كما حددت الأحاديث الأخرى اليوم الذي يقوم فيه الملك بالتصوير،وخلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظم والجنس (ذكر أم أنثى)،ونفخ الروح فيه لينتقل من الحياة النباتية إلى الحياة الآدمية. ففي الحديث عَنْ أَبِى الزُّبَيْرِ الْمَكِّىِّ أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُود يَقُولُ الشَّقِىُّ مَنْ شَقِىَ فِى بَطْنِ أُمِّه وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِه. فَأَتَى رَجُلاً منْ أَصْحَاب رَسُول اللَّه – ﷺ – يُقَالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيد الْغِفَارِىُّ فَحَدَّثَهُ بِذَلكَ منْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُود فَقَالَ وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَتَعْجَبُ منْ ذَلكَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه – ﷺ – يَقُولُ « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَة ثِنْتَان وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ. قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ. فَيَقُولُ

---

[٧٧] - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٢١٤) (٦٨٠٣- ٦٨٠٥) وجلها في الصحيحين

[٧٨] - المسند الجامع - (٣ / ٤٥) (١٥٩٥) وصحيح البخارى- المكنز - (٣١٨) وصحيح مسلم- المكنز -(٦٩٠٠)

رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ. فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِى يَدِهِ فَلاَ يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلاَ يَنْقُصُ ».[٧٩]

وعَنْ حُذَيْفَةَ بن أُسَيْد،قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،يَقُولُ : " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا،فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعَظْمَهَا،وَقَالَ : يَا رَبِّ،أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ،ثُمَّ يَقُولُ : رِزْقُهُ ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ،وَالصَّحِيفَةُ فِي يَدِهِ،فَلا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلا يُنْقِصُ ".[٨٠]

.وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يُرى الناس في زماننا هذا مراحل تطور الجنين ومشاهدة أحواله في رحم أمه بواسطة الأجهزة المصنوعة لذلك،مما جعل هذا الحديث الشريف آية شاهدة على معجزة النبي ﷺ .

٩- الموكَّلون بحفظ الإنسان :

وكَّلَ الله سبحانه وتعالى ببني آدم حفظة من ملائكته الأبرار،يحيطونه بالحفظ والرعاية فينجو من وقوع الشر والآفات،ولولا ذلك لما استطاع الإنسان العيش في أرض فيها الكثير من المخاطر،والمخلوقات الشريرة والوحوش المفترسة،والزواحف السامة،والحشرات الضارة ،والكائنات الدقيقة الفتاكة والأشعة الضارة، فيها طغاة من البشر، ومعتدون، وَظَلَمَة، وغيرها من أسباب المخاطر المهلكة. قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} (٦١) سورة الأنعام

يحفظونه بأمر الله، فما دام الله كاتبًا له السلامة، فهذه الملائكة تدافع عنه، ولا يصل إليه أحد بشَر، فإذا أراد الله نهاية أجله تخلّوا عنه، واحد من أمامه وواحد من خلفه {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ} [الرعد: ١١]

---

[٧٩] - صحيح مسلم- المكنز - (٦٨٩٦)

[٨٠] - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٢٩٤) (٢٩٧٢) صحيح

وإذا جاء القدر وأراد الله هلاك هذا الإنسان فإن الملائكة المعقبات تتخلى عنه، لأنها لا ترد عنه أمر الله. هذه الملائكة المعقبات.

وإرسال الحفظة عليهم مراقبهم لهم وإحصاء أعمالهم وكتابتها وحفظها فى الصحف التي تنشر يوم الحساب،وهى المرادة بقوله تعالى « وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ » .

وهؤلاء الحفظة الملائكة الذين قال اللّه تعالى فيهم « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ. كِراماً كاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » ونحن نؤمن بهذه الكتابة ولا نعرف صفتها ولا نتحكم فيها بآرائنا.[81]

فهو صاحب السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره. هم ضعاف في قبضة هذا السلطان لا قوة لهم ولا ناصر. هم عباد. والقهر فوقهم. وهم خاضعون له مقهورون ..

وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة .. وهذه هي الحقيقة التي ينطق بها واقع الناس – مهما ترك لهم من الحرية ليتصرفوا،ومن العلم ليعرفوا،ومن القدرة ليقوموا بالخلافة – إن كل نفس من أنفاسهم بقدر وكل حركة في كيانهم خاضعة لسلطان اللّه بما أودعه في كيانهم من ناموس لا يملكون أن يخالفوه. وإن كان هذا الناموس يجري في كل مرة بقدر خاص حتى في النفس والحركة!

«وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» ..لا يذكر النص هنا ما نوعهم .. وفي مواضع أخرى أنهم ملائكة يحصون على كل إنسان كل ما يصدر عنه ..أما هنا فالمقصود الظاهر هو إلقاء ظل الرقابة المباشرة على كل نفس. ظل الشعور بأن النفس غير منفردة لحظة واحدة،وغير متروكة لذاتها لحظة واحدة. فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركة وكل نأمة ويحفظ ما يصدر عنها لا يند عنه شيء .. وهذا التصور كفيل بأن ينتفض له الكيان البشري وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة ..[82]

---

[81] – تفسير الشيخ المراغى ـــ موافقا للمطبوع – (٧ / ١٤٧)

[82] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٢ / ١١٢٢)

وقال تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} (١١) سورة الرعد

قال ابن كثير : " أَيْ لِلْعَبْدِ مَلَائِكَة يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ حَرَس بِاللَّيْلِ وَحَرَس بِالنَّهَارِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاء وَالْحَادِثَات كَمَا يَتَعَاقَب مَلَائِكَة آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَال مِنْ خَيْر أَوْ شَرّ مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَة بِالنَّهَارِ فَاثْنَان عَنِ الْيَمِين وَالشِّمَال يَكْتُبَان الْأَعْمَال صَاحِب الْيَمِين يَكْتُب الْحَسَنَات وَصَاحِب الشِّمَال يَكْتُب السَّيِّئَات وَمَلَكَان آخَرَان يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ وَاحِد مِنْ وَرَائِهِ وَآخَر مِنْ قُدَّامه فَهُوَ بَيْن أَرْبَعَة أَمْلَاك بِالنَّهَارِ وَأَرْبَعَة آخَرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا حَافِظَان وَكَاتِبَان كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – :« الْمَلاَئِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،يَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ،ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ،فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ».[٨٣]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّى فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لاَ يُفَارِقُكُمْ إِلاَّ عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِى الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ »[٨٤].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَوْلُهُ : " يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَقُولُ : بِإِذْنِ اللَّهِ،فَالْمُعَقِّبَاتُ : هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ،وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ "

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَالَ : " الْمَلَائِكَةُ : الْحَفَظَةُ،وَحِفْظُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ "

وعَنْ مُجَاهِدٍ،فِي قَوْلِهِ : لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَالَ : " الْحَفَظَةُ هُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ "

---

[٨٣] - السنن الكبرى للبيهقي- المكنز - (١ / ٤٦٤) (٢٢٧١) وصحيح البخارى- المكنز - (٥٥٥) وصحيح مسلم- المكنز - (١٤٦٤)

[٨٤] - سنن الترمذى- المكنز - (٣٠٣٠) حسن لغيره

وعَنْ مُجَاهِد،فِي قَوْلِهِ : لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ قَالَ : " مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " ذِكْرُ مَنْ قَالَ : تَحْفَظُهُ الْحَرَسُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

وعَنْ مُجَاهِد،أَنَّهُ قَالَ : " مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ،فَمَا مِنْهُمْ شَيْءٌ يَأْتِيهِ يُرِيدُهُ إِلَّا قَالَ : وَرَاءَكَ،إِلَّا شَيْئًا يَأْذَنُ اللَّهُ فَيُصِيبُهُ " *

وعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ،قَالَ : " لَوْ تَجَلَّى لِابْنِ آدَمَ كُلُّ سَهْلٍ وَحَزَنٍ،لَرَأَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ شَيَاطِينَ،لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِكُمْ مَلَائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعَمِكُمْ،وَمَشْرَبِكُمْ،وَعَوْرَاتِكُمْ،إِذَنْ لَتُخُطِّفْتُمْ "

وعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ،قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،وَهُوَ يُصَلِّي،فَقَالَ : احْتَرِسْ،فَإِنَّ نَاسًا مِنْ مُرَادٍ يُرِيدُونَ قَتْلَكَ فَقَالَ : " إِنَّ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ يُقَدَّرْ،فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ،وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ "

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ : " مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَذُودُ عَنْهُ حَتَّى يُسْلِمَهُ لِلَّذِي قُدِّرَ لَهُ " . وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : يَحْفَظُونَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ "[85]

وقال المراغي : " (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أي للإنسان ملائكة يتعاقبون عليه : حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من المضارّ ويراقبون أحواله،كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ أعماله من خير أو شر،ملائكة بالليل وملائكة بالنهار،فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال،صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات،وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه،واحد من ورائه وآخر من قدامه،فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا،حافظان وكاتبان كما

جاء فى الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ،وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ،ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا

---

[85] -جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ (١٨٤٧١-١٨٤٨٨)

فِيكُمْ،فَيَسْأَلُهُمْ،وَهُوَ أَعْلَمُ،كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ. [٨٦]

وإذا علم الإنسان أن هناك ملائكة تحصى عليه أعماله كان حذرا من وقوعه فى المعاصي خيفة أن يطلع عليه الكرام الكاتبون ويزجره الحياء عن الإقدام على فعل الموبقات كما يحذر من الوقوع فيها إذا حضر من يستحى منه من البشر،وهو أيضا إذا علم أن كل عمل له فى كتاب مدّخر يكون ذلك رادعا له داعيا إلى تركه.

وليس أمر الحفظة بالبعيد عن العقل بعد أن أثبته الدين وبعد أن كشف العلم أن كثيرا من الأعمال العامة يمكن إحصاؤها بآلات دقيقة لا تدع منها شيئا إلا تحصيه،فقد أصبحت المياه والكهرباء فى المدن تعدّ بالآلات (العدادات) فالمياه التي يشربونها،والكهرباء التي يضيئون بها منازلهم تحصى وتعدّ كما يعدّ الدرهم والدينار،وكذلك هناك آلات تحصى المسافات التي تقطعها السيارات فى سيرها،وأخرى تحصى تيارات الأنهار ومساقط المياه إلى غير ذلك من دقيق الآلات التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة من الأعمال إلا تكتبها وتحصيها.

وكلما تقدمت العلوم وكشفت ما كان غائبا عنا كان فى ذلك تصديق أيّما تصديق لنظريات الدين،ووسيلة حافزة إلى الاعتراف بما جاء فيه مما يخفى على بعض الماديين الذين لا يقرّون إلا بما يرونه رأى العين،ولا يذعنون إلا بما يقع تحت حسهم،وبهذا يصدق قول القائل (الدين والعقل فى الإسلام صنوان لا يفترقان،وصديقان لا يختلفان).

(يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي هم يحفظونه بأمر اللّه وإذنه وجميل رعايته وكلاءته،فكما جعل سبحانه للمحسوسات أسبابا محسوسة ربط بها مسبباتها بحسب ما اقتضته

---

[٨٦] - صحيح البخارى- المكنز - (٥٥٥) و صحيح مسلم- المكنز - (١٤٦٤) وصحيح ابن حبان - (٥ / ٢٩) (١٧٣٧)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ بِأَنَّ مَلاَئِكَةَ اللَّيْلِ إِنَّمَا تَنْزِلُ وَالنَّاسُ فِي صَلاَةِ الْعَصْرِ ، وَحِينَئِذٍ تَصْعَدُ مَلاَئِكَةُ النَّهَارِ ، ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَلاَئِكَةَ اللَّيْلِ تَنْزِلُ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

حكمته،فجعل الجفن سببا لحفظ العين مما يـدخل فيها،فيؤذيها،كـذلك جعـل لغـير المحسوسات أسبابا،فجعل الملائكة أسبابا للحفظ،وأفعاله تعالى لا تخلو من الحكم والمصالح.
وكذلك جعل لحفظ أعمالنا كراما كاتبين وإن كنا لا ندرى ما قلمهم وما مدادهم ؟
وكيف كتابتهم ؟ وأين محلهم ؟ وما حكمة ذلك ؟ مع أن علمه تعالى بأعمال الإنسـان كاف فى الثواب والعقاب عليها،وقد يكون من حكمة ذلك أنه إذا علـم الإنسـان أن أعماله محفوظة لدى الحفظة الكرام كان أجدر بالإذعان لما يلقاه من ثواب وعقاب يـوم العرض والحساب.[٨٧]

١٠- كتابة الأعمال :

وكَّل الله بكل إنسان ملكين حاضرين عن يمينه وشماله ملازمين له،لا يفارقانه لحظة مـن الزمان، يحصيان عليه كل أقواله وأفعاله، بل ويعلمان همَّه بالحسنة والسيئة،وقد بين القرآن ذلك فقال تعالى : {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (١٨) سورة ق
وهو بيان شارح لوظيفة الجنديين القاعدين عن يمين الإنسان وعن شماله .. فهما واقفـان للإنسان بالمرصاد .. ما يلفظ من قول إلا كـان علـى هـذا القـول « رقيـب » أي مراقب،يسمع ما يقال،ويسجله،وهو « عتيد » أي حاضر دائما لا يغيب أبدا .. ولـيس رقيب وعتيد،اسمين للملكين القائمين على الإنسان،الموكلان به،وإنما ذلك وصف لكـلّ منهما،فكل منهما رقيب يقظ،حاضر أبدا ..[٨٨]
وعَنْ كِنَانَةَ الْعَدَوِيِّ،قَالَ : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُـولَ اللَّهِ،أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَبْدِ كَمْ مَعَهُ مِنْ مَلَكٍ ؟ قَالَ : " مَلَكٌ عَلَى يَمِينِكَ عَلَى حَسَنَاتِكَ،وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ،فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا،وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِلَّذِي عَلَى الْيَمِينِ : أَكْتُبُ ؟ قَالَ : لَا لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ،فَـإِذَا قَـالَ ثَلَاثًا،قَالَ : نَعَمْ،اكْتُبْ،أَرَاحَنَا اللَّهُ مِنْهُ،فَبِئْسَ الْقَرِينُ،مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلَّهِ،وَأَقَلَّ اسْتِحْيَاءَهُ مِنَّـا

[٨٧] - تفسير الشيخ المراغى ــ موافقا للمطبوع - (١٣ / ٧٦) وانظر التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (٧ / ٨٠)
[٨٨] - التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (١٣ / ٤٧٩)

يَقُولُ اللَّهُ : مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَمَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ،يَقُولُ اللَّهُ : لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ،فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ،وَإِذَا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ قَصَمَكَ،وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ،وَمَلَكٌ قَائِمٌ عَلَى فِيكَ لَا يَدَعُ الْحَيَّةَ تَدْخُلُ فِي فِيكَ،وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ فَهَؤُلَاءِ عَشَرَةُ أَمْلَاكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ،يَنْزِلُونَ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ عَلَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ،لِأَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ سِوَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ،فَهَؤُلَاءِ عِشْرُونَ مَلَكًا عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ،وَإِبْلِيسُ بِالنَّهَارِ وَوَلَدُهُ بِاللَّيْلِ "[89]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ ».[90]

وقال تعالى: { كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) } [الانفطار : ٩ - ١٢]

والحافظون،هم الملائكة الموكلون بالناس،وبتسجيل ما يعملون من خير أو شر .. وهم الكرام عند اللّه،المكرمون بفضله وإحسانه،الكاتبون لما يعمل الناس ..[91]

أى : وإن عليكم ملائكة من صفاهم أهم يحفظون أعمالكم،ويسجلوها عليكم،وأهم لهم عند اللّه - تعالى - الكرامة والمترلة الحسنة،وأهم يكتبون أعمالكم كلها،وأهم يعلمون أفعالكم التي تفعلوها سواء أكانت قليلة أم كثيرة،صغيرة أم كبيرة.

فالمقصود هذه الآيات الكريمة : بيان أن البعث حق،وأن الحساب حق،وأن الجزاء حق،وأن أعمال الإنسان مسجلة عليه تسجيلا تاما،بواسطة ملائكة لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

---

[89] - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ (١٨٤٥٢) فيه انقطاع

[90] - صحيح مسلم- المكتر - (٧٢٨٦)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شَيْطَانَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَسْلَمَ حَتَّى لَمْ يَأْمُرْهُ إِلاَّ بِخَيْرٍ ، لاَ أَنَّهُ كَانَ يَسْلَمُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا.صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٢٧)

[91] - التفسير القرآني للقرآن ـــ موافقا للمطبوع - (١٥ / ١٤٨٣)

أما كيفية هذه الكتابة من الملائكة لأعمال الإنسـان،وعلى أى شـيء تكـون هـذه الكتابة،ومتى تكون هذه الكتابة ... فمن الأمور التي يجب الإيمان بها كمـا وردت،مـع تفويض كنهها وكيفيتها ودقتها إلى اللّه – تعالى – لأنه لم يرد حـديث صـحيح عـن المعصوم ﷺ يعتمد عليه في بيان ذلك.[٩٢]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا هَـمَّ عَبْدِى بِسَيِّئَةٍ فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْهَـا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا ».[٩٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ،قَالَ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَـيِّئَةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْهَا،فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً،فَإِنْ عَمِلَهَا،فَاكْتُبُوهَا لَهُ سَيِّئَةً،فَإِنْ تَابَ مِنْهَا،فَامْحُوهَا عَنْهُ،وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا،فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً،فَإِنْ عَمِلَهَا،فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَـا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ.

وعَنِ الأَعْرَجِ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَـلَ سَيِّئَةً،فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلْهَا،فَإِنْ عَمِلَهَـا فَاكْتُبُوهَـا مِثْلَهَا،فَـإِنْ تَرَكَهَـا مِـنْ أَجْلِي،فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً،فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً،فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : عنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَـالَى : إِذَا هَـمَّ عَبْـدِي بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا،كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً،فَإِنْ عَمِلَهَا،كَتَبْتُهَا لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ،وَإِنْ هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا،لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ،فَإِنْ عَمِلَهَا،كَتَبْتُهَا وَاحِدَةً.[٩٤]

---

[٩٢] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١٥ / ٣١٣) و فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٦ / ٣٨٥١)

[٩٣] – صحيح مسلم– المكنز – (٣٤٩)

[٩٤] – صحيح ابن حبان – (٢ / ١٠٥) (٣٨١-٣٨٣) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلاَ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي أَرَادَ بِهِ إِذَا عَزَمَ ، فَسَمَّى الْعَزْمَ هَمًّا ، لأَنَّ الْعَزْمَ نِهَايَةُ الْهَمِّ ، وَالْعَرَبُ فِي لُغَتِهَا تُطْلِقُ اسْمَ الْبَدَاءَةِ عَلَى النِّهَايَةِ ، وَاسْمَ النِّهَايَةِ عَلَى الْبَدَاءَةِ ، لأَنَّ الْهَمَّ لاَ يُكْتَبُ عَلَى الْمَرْءِ ، لأَنَّـهُ خَاطِرٌ لاَ حُكْمَ لَهُ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَكْتُبُ لِمَنْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ ، وَإِنْ لَمْ يَعْزِمْ عَلَيْـهِ وَلاَ عَمِلَـهُ لِفَضْـلِ

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " صَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِينٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَأَرَادَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ، فَيُمْسِكُ سِتَّ سَاعَاتٍ أَوْ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرِ اللهَ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "[٩٥]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ " وَفِي رِوَايَةٍ..سَبْعَ سَاعَاتٍ – عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْهَا أَلْقَاهَا عَنْهُ، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً "[٩٦]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَفِظَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَيَجِدُ اللهُ فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ وَفِي آخِرِهَا خَيْرًا " إِلَّا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفَيِ الصَّحِيفَةِ " وَفِي رِوَايَةِ الدَّهَّانِ " مَا حَفِظَا فَيَرَى اللهُ فِي أَوَّلِ صَحِيفَتِهِمَا خَيْرًا وَآخِرِهَا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أُشْهِدُكُمْ مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ مَا بَيْنَ طَرَفَيِ الصَّحِيفَةِ "[٩٧]

١١ – مصاحبة الإنسان :

وكَّل الله بكل إنسان قريناً من الملائكة يأمره بالخير ويرغبه فيه،وقرينا من الجن يأمره بالشر ويحثه عليه كما جاء في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ »[٩٨].

الإِسْلاَمِ ، فَتَوْفِيقُ اللهِ الْعَبْدَ لِلإِسْلاَمِ فَضْلٌ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَكِتْبَتُهُ مَا هَمَّ بِهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَمَّا يَعْمَلْهَا فَضْلٌ ، وَكِتْبَتُهُ مَا هَمَّ بِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَلَمَّا يَعْمَلْهَا لَوْ كَتَبَهَا ، لَكَانَ عَدْلاً ، وَفَضْلُهُ قَدْ سَبَقَ عَدْلَهُ ، كَمَا أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، فَمِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَى صِبْيَانِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ سَيِّئَةٍ قَبْلَ الْبُلُوغِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ مَا يَعْمَلُونَهُ مِنْ حَسَنَةٍ ، كَذَلِكَ هَذَا وَلاَ فَرْقَ.

[٩٥] – شعب الإيمان – (٩ / ٢٧١) (٦٦٤٨ -٦٦٤٩) حسن

[٩٦] – شعب الإيمان – (٦٦٥٠) حسن

[٩٧] – شعب الإيمان – (٩ / ٢٧٤) (٦٦٥٢) ضعيف

[٩٨] – صحيح مسلم- المكنز – (٧٢٨٦)

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علاقة الملك بالإنسان وكذلك علاقة الشيطان به فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٦٨) سورة البقرة»[٩٩].

١٢- توفي أرواح بني آدم :

وكَّل الله ملكاً هو ملك الموت لقبض أرواح العباد عند نهاية آجالهم، قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (١١) سورة السجدة.

توفية الشيء : استيفاؤه وأخذه كاملا وافيا،وعبّر عن الموت بالتوفى ،لأنه لا يكون الموت حتى يستوفى الحىّ ما قدر اللّه له من حياة،دون زيادة أو نقصان.

ــ وفي قوله تعالى : « قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ » ــــ إشارة إلى أن الموت الذي يحلّ بهم،ليس أمرا يقع من تلقاء نفسه،اعتباطا،كما يظنون وكما يقول شاعرهم :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمّر فيهرم وكلّا،فإن الموت بيد اللّه الحكيم العليم،الذي جعل لكل نفس أجلا محدودا،فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. ثم إن الموت يقوم به رسول من رسل اللّه،مهمته هى قبض الأرواح من الأجساد،بعد أن تستوفى أجلها .. وإذا كان ذلك كذلك،فإن الذي إليه الموت،له أيضا الحياة قبل الموت،وبعد الموت .. فمن أعطى الحياة،ثم سلبها،لا يعجز أن يعطى ما سلب!

« كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ،وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ،ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢٨ : البقرة).[١٠٠]

---

[٩٩] - سنن الترمذى- المكنز - (٣٢٥٦) حسن وصح وقفه لكن مثله لا يقال بالرأى فله حكم الرأي -اللّمة : النزول والقرب

[١٠٠] - التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (١١ / ٦١٣)

وأسند – سبحانه – هنا التوفي إلى ملك الموت،لأنه هو المأمور بقبض الأرواح. وأسنده إلى الملائكة في قوله – تعالى – فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ لأهم أعوان ملك الموت الذين كلفهم اللّه بذلك.

وأسنده – سبحانه – إلى ذاته في قوله : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها لأن كل شيء كائنا ما كان،لا يكون إلا بقضائه وقدره.[101]

وقد جعل الله له أعوناً يساعدونه في ذلك. قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} (٦١) سورة الأنعام.

أى : حتى إذا احتضر أحدكم وحان أجله قبضت روحه ملائكتنا الموكلون بذلك حالة كونهم لا يتوانون ولا يتأخرون في أداء مهمتهم.

قال الآلوسى : وحتى في قوله : حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها،كأنه قيل : ويرسل عليكم حفظة يحفظون ما يحفظون منكم مدة حياتكم،حتى إذا انتهت مدة أحدكم وجاءت أسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض إليهم ذلك،وانتهى هناك حفظ الحفظة. والمراد بالرسل – على ما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس – أعوان ملك الموت .

وقال الجمل : فإن قلت : إن هناك آية تقول : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وثانية تقول : قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ والتي معنا تقول تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا فكيف الجمع بين هذه الآيات؟.

فالجواب على ذلك أن المتوفى في الحقيقة هو اللّه،فإذا حضر أجل العبد أمر اللّه ملك الموت بقبض روحه،ولملك الموت أعوان من الملائكة فيأمرهم بترع روح ذلك العبد من

---

[101] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١١ / ١٤٨) وانظر تفسير الشيخ المراغى ــ موافقا للمطبوع – (٢١ / ١٠٨)

جسده،فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه،وقيل المراد من قوله تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا ملك الموت وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له .[١٠٢]

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ:" اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَت إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ حَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعْهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ رِيحِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي

---

[١٠٢] - التفسير الوسيط للقرآن الكريم-موافق للمطبوع - (٥ / ٩٣) والكشاف ج ٢ ص ٣٣ و تفسير الآلوسى ج ٧ ص ٧٦ وحاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٤٠.

كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قال وَأَمَّا الْعَبْدُ الْكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ومَعَهُمُ الْمُسُوحُ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللهِ وَغَضَبِهِ" . قَالَ:" فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، وَمَعَهَا الْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ" . قَالَ:" وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْتَنُ مِنْ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ { لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } [الأعراف: ٤٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّا مِنْهَا خَلَقْنَاهُمْ، وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى" . قَالَ:" فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ } [الحج: ٣١] الْآيَةَ، ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ" . قَالَ:" وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ" . قَالَ:" فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِي بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ" قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:"[١٠٣]

تبشير المسلمين :

[١٠٣] - شعب الإيمان - (١ / ٦١٠) (٣٩٠) صحيح مشهور

وإذا حان أجلُ المسلم وكان من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا،أنزل الله إليـــه ملائكـــة تبشره بالجنة وتطمئنه من هول ما هو صائر إليه .قال الله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّـــةِ الَّتِـــي كُنْـــتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَـــا مَـــا تَشْـــتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِـــيمٍ (٣٢) } [فصـــلت : ٣٠ - ٣٣]

إنَّ الذينَ آمَنُوا باللهِ،وَأَخْلَصُوا لَهُ العِبَادَةَ،وَثَبَتُوا عَلَى الإِيمَانِ (اسْتَقَامُوا) تَتَنَـــزَّلُ المَلاَئِكَـــةُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالبُشْرَى التِي يُرِيدُونَهَا،وَبِأَنَّهُمْ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمّـــا يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ،وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَـــالٍ وَزَوْجٍ وَوَلَدٍ،وَيَبَشِّرُونَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ التِي وَعَدَهُمْ اللهُ بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ .
وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ،وَهُمْ يُبَشِّرُونَهُمْ : نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ فِي الحَيَاةِ الـــدُّنْيَا نُسَـــدِّدُ خُطَاكُمْ،وَنُلْهِمُكُمْ الحَقَّ،وَنُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ الخَيْرُ وَرِضا اللهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الآخِرَةِ،نُؤَمِّنُكُمْ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ وَحْشَةِ القَبْرِ،وَعِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّـــورِ،وَيَوْمَ البَعْـــثِ والنُّشُورِ،وَنُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ الخُلْدِ،وَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ المَلَذَّاتِ والنَّعِيمِ،وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَتَمَنونَ وَتَطْلُبُونَ .
وَالذِي أَنْزَلَكُمْ دَارَ الكَرَامَةِ هَذِهِ هُوَ اللهُ الغَفُورُ الرَّحِيمُ .[١٠٤]

وقال الخطيب : " فالذين قالوا ربنا اللّه،وحده،لا شريك له،ولا نعبد إلها غيره،ولا نتخذ معه شركاء،ثم إنهم مع إيمانهم هذا،قد عملوا بمقتضى هذا الإيمان فاستقاموا على ما يـــدعو إليه الإيمان باللّه،من امتثال ما يأمر به،واجتناب ما ينهى عنه ــ هؤلاء المؤمنـــون تـــتترل عليهم الملائكة بالرحمات والبركات من ربهم،فيلقونهم عند كـــل مطلـــع مـــن مطـــالع القيامة،وعند كل شدة من شدائدها،بما يملأ قلوبهم أمنا وسكينة ورضا،قائلين لهـــم :ألّـــا تخافوا مما أنتم مقدمون عليه من حساب وجزاء،ولا تحزنوا على فائت فاتكم فى الدنيا،فقد أخذتم خير ما فيها،وهو الإيمان باللّه،والعمل وإنه لكى يأنس المؤمنون بالملائكـــة الـــذين

---

[١٠٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٢٧)

يلقونهم لأول مرة،يكشف لهم الملائكة عن تلك العلاقة التي كانت بينهم فى الدنيا،إذ كان الملائكة ــ من غير أن يشعر المؤمنون ــ أولياء لهم،تجمع بينهم جامعة الولاء للّه،والطاعة له .. فهم والملائكة كانوا إخوانا فى اللّه،ومن هنا كانوا يستغفرون للمؤمنين،كما يقول اللّه سبحانه : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ » (٧ : غافر).

ثم إن الملائكة كانوا فى الدنيا جندا من جنود اللّه،يقاتلون فى سبيل اللّه مع المقاتلين فى سبيله من المؤمنين،كما يقول سبحانه : « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ » (١٢ : الأنفال) ..

قوله تعالى : « وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ ».الضمير فى « فيها » للجنة التي جاء ذكرها فى قوله تعالى : « وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » .. أي أبشروا بهذه الجنة التي لكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون،أي ما تتمنون،مما يطوف بخيالكم،ويقع فى عالم الأمانى،فكل ما تتمنونه تجدونه حاضرا بين أيديكم ..وإنه ليس أهنأ للإنسان،ولا أسعد لقلبه،من أن يجد كل ما يتمناه حاضرا بين يديه،فتلك هى السعادة المطلقة،الخالية من كل شائبة من شوائب الحرمان،الكلّى أو الجزئى

قوله تعالى : « نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » أي مترلا من غفور رحيم،قد أعده اللّه لكم وقد غفر لكم ذنوبكم،وأنزلكم مترل رحمته .. ومن نزل هذا المترل فهو فى ضيافة رب كريم،ينال من فضل اللّه ما يشاء .. "[105]

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المار آنفاً تفصيل لذلك ..

تعذيب الكافرين :

---

[105] - التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (١٢ / ١٣١٣) والتفسير الوسيط للقرآن الكريم-موافق للمطبوع - (١٢ / ٣٥٠) وفى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٣١٢١)

قال تعالى : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (٩٣) سورة الأنعام

وفى هذا العرض يبدو المصير الذي يصير إليه كل ظالم،حين تنتهى أيامه القصيرة فى هذه الدنيا،بحلوها ومرها،وبلهوها وعبثها،وإذ هو على مشارف الحياة الآخرة،وملائكة الرحمن يمدّون أيديهم لانتزاع ثوب الحياة الذي يلبسه هذا الجسد،الذي كان يمشى فى الأرض مختالا فخورا،يحسب أن ماله أخلده .. وما هى إلا لحظات،يعالج فيها سكرات الموت،حتى يكون جثة هامدة،كأنه لقى ملقى على الطريق،بل إنه يصبح سوأة يجب أن تختفى وتتوارى عن الأنظار،وتغيّب فى باطن الأرض .. وليس هذا فحسب،بل إن ذلك هو بدء لمرحلة جديدة،لحياة أخرى غير الحياة التي كان فيها .. إنه سيبعث من جديد،ويلبس ثوب الحياة مرة أخرى،ولكن لا ليكون مطلق السّراح،يلهو ويعبث،بل ليلقى به فى جهنم،وليكون وقودا لجحيمها المتسعر! وفى قوله تعالى : « أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ » إشارة إلى هذا الأمر الملزم،الذي يحمله الملائكة،لقبض أرواح الظالمين،وأن الملائكة،وهم الموكلون بقبض هذه الأرواح،يحملون هؤلاء الظالمين حملا على انتزاعها بأنفسهم،وإعطائها لهم بأيديهم،وفى هذا تنكيل بهم،وإذلال وقهر لهم،بأن يحملوا حملا على انتزاع حياتهم بأيديهم .. هكذا « أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ».. وهل يعطى الإنسان نفسه بيده ؟

إنه لأهون عليه كثيرا أن ينتزعها أحد منه قهرا وقسرا،من أن يكون هو الذي يقدّم بيديه أعزّ شىء يملكه،بل كل شىء يملكه ..[١٠٦]

وقال تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ} (٥٠) سورة الأنفال

فيه إشارة إلى ما حلّ بالمشركين الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس،من بلاء ونكال فى يوم بدر الذي خرجوا له،وهم على تلك الحال التي كانت تستولى عليهم من

---

[١٠٦] - التفسير القرآني للقرآن ـــ موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٤١)

الزّهو والخيلاء .. فهاهم أولاء يتلقّون الصــفعات علــى وجوههم،والضــربات علــى أدبارهم،كما يفعل بعبيدهم وإمائهم ..!

فأين العزّة والمنعة ؟ وأين السطوة والجاه ؟ لقد تعرّوا من هذا كلّه،ولبسوا ثوب الخــزي والمهانة،ونزلوا إلى أسوأ مما كان عليه الأرقاء .. من عبيد وإماء!

وإذا كانت تلك الأيدي التي تناولتهم بالصفع على وجوههم،وتلك الأرجل التي أخــذهم بالرّكل على أدبارهم،أيديا خفيّة لا ترى،لأنها يد القوى السماوية التي سلطها اللّه علــيهم يومئذ ـــ فإنّ هناك أيديا شوّهت هذه الوجوه بضربات السيوف،وركلت هذه الأدبــار بأزجّة الرّماح،وهي أيد رآها الناس رأي العين،وشهدوا آثارها وأفعالها فى هؤلاء الســادة المتكبرين .. إنها أيدي أولئــك المســلمين الــذين اســترهبهم المشــركون بزهــوهم وخيلائهم،وغمزهم المنافقون والذين فى قلوبهم مرض بقوارص الكلم،وسيىء القول.[107]

وفي حديث البراء أيضاً تفصيل لذلك .

١٣- سؤال الموتى في قبورهم :

عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ،وَتُــوُلِّىَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ،أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ انْظُــرْ إِلَــى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ،أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًــا - وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ لاَ أَدْرِى،كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ . فَيُقَالُ لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ . ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ،فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ » [108].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِى الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،فَذَلِكَ قَوْلُهُ {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِــتِ

---

[107] - التفسير القرآني للقرآن ـــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٦٣٥)

[108] - صحيح البخارى- المكنز - (١٣٣٨)

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ} (٢٧) سورة إبراهيم [١٠٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الإِنْسَانُ،أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ،يُقَالُ لأَحَدِهِمَا : الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ : النَّكِيرُ،فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ،أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،فَيَقُولاَنِ لَهُ : إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ إِنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ،ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا،وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ،فَيُقَالُ لَهُ : نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا،فَكُنْتُ أَقُولُهُ،فَيَقُولاَنِ لَهُ : إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ،ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ : الْتَئِمِي عَلَيْهِ،فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلاَعُهُ،فَلاَ يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ." [١١٠]

١٤- إبلاغ كلام الله تعالى وحكمه إلى عباده المرسلين :

قال الله تعالى مخبراً عن القرآن : وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) [الشعراء/١٩٢-١٩٦]

وإن هذا القرآن الذي ذُكِرَتْ فيه هذه القصص الصادقة، لَمنزَّل من خالق الخلق، ومالك الأمر كله، نزل به جبريل الأمين، فتلاه عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حفظًا وفهمًا؛ لتكون من رسل الله الذين يخوِّفون قومهم عقاب الله، فتنذر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم. [١١١]

---

[١٠٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٦٩٩)

[١١٠] - صحيح ابن حبان - (٧ / ٣٨٦) (٣١١٧) صحيح

[١١١] -التفسير الميسر - (٦ / ٤٤٣) وانظر أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٠٠٦)

وقال تعالى : {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} (١٥) سورة غافر

إن الله هو العليُّ الأعلى الذي ارتفعت درجاته ارتفاعًا باين به مخلوقاته، وارتفع به قَدْره، وهو صاحب العرش العظيم، ومن رحمته بعباده أن يرسل إليهم رسلا يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوِّف الرسل عباد الله، وتنذرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون.[١١٢]

وقد ثبت بالسنَّة أن هذه وظيفة جبريل عليه السلام.

١٥- حمل العرش :

فقد نصَّ القرآن الكريم على أن عرش الرحمن تحمله الملائكة قال الله تعالى : {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة .

وَتَقُومُ المَلاَئِكَةُ عَلَى جَوَانِبِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ،وَيَحْمِلُ عَرْشَ اللهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَهُولِ فَوْقَ رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ ثَمَانِيَةٌ[١١٣]

وقال تعالى : {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٧) سورة غافر .

إِنَّ المَلاَئِكَةَ الذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ،وَالمَلاَئِكَةَ الذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَى،وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلاَئِهِ،وَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ،وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلمُسِيئِينَ الذِين تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ،وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهِمْ مِنْ فَعْلِ الخَيرِ،وَتَرَكَ المُنْكَرِ،وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ (يَقِي) هَؤُلاَءِ التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ عَذَابَ النَّارِ .[١١٤]

١٦- رعايةُ الجنة وأهلها، والقيامُ على النار ومن فيها :

[١١٢] - التفسير الميسر - (٨ / ٣٠٨)

[١١٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٢١٨)

[١١٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠١٩)

وقد أطلق القرآن الكريم على القائمين بهذه الوظائف اسم الخزنة قال تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) } [الزمر/٧١-٧٣]،وقال تعالى :{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) } [الرعد/٢٣، ٢٤]

وقال تعالى : {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر/٤٩ -٥٠] } .

وخصَّ أصحاب النار باسم الزبانية. قال تعالى :{ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) [العلق/١٧-١٩]}

ورؤساء خزنة جهنم تسعة عشر،قال تعالى : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) [المدثر/٢٧-٣٢]} .

وزعيمهم مالك قال تعالى : { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ } (الزخرف : ٧٧)

وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار، فعَنْ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِــيُّ – ﷺ –« رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى قَالاَ الَّذِى يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَــازِنُ النَّارِ،وَأَنَــا جِبْرِيلُ،وَهَــذَا مِيكَائِيلُ » (أخرجه البخاري)[115] .

١٧–حضور مجالس الذكر :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ – قَالَ – فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِــى الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.قَالَ وَمَــاذَا يَسْــأَلُونِى قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِى قَالُوا لاَ أَىْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِــى قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِى قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَــارِى قَالُوا لاَ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِى قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ – قَالَ – فَيَقُولُ قَدْ غَفَــرْتُ لَهُــمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا – قَالَ – فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».(أخرجه مسلم)[116]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ النَّــاسِ ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّــهَ تَنَــادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُــوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ، فَيَقُولُ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : يُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَــبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا وَتَحْمِيدًا وَتَمْجِيــدًا ، فَيَقُــولُ : وَمَــا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللَّــهِ

[115] – برقم(٣٢٣٦)

[116] – برقم(٧٠١٥)–الفُضل : ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم

يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ حِرْصًا وَأَشَــدَّ طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ،فَيَقُولُ : وَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُ : وَهَــلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَــوْ رَأَوْهَــا لَكَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ فِرَارًا ، وَأَشَدَّ هَرَبًا ، وَأَشَدَّ خَوْفًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ : أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. ، قَالَ : فَقَالَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ : إِنَّ فِيهِمْ فُلاَنًا لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَــا جَــاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : فَهُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ." (أخرجه البخاري)[117]

وعَنِ الأَغَرِّ أَبِى مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّهُمَا شَــهِدَا عَلَــى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – أَنَّهُ قَالَ « مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ حَفَّــتْ بِهِــمُ الْمَلاَئِكَــةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ».(أخرجه الترمــذي[118])

١٨- وضع أجنحتها لطالب العلم والاستغفار له :

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِى الدَّرْدَاءِ فِى مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَــالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّى جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ – ﷺ – لِحَدِيثٍ بَلَغَنِى أَنَّكَ تُحَدِّثُــهُ عَــنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَــةَ لَتَضَــعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَــنْ فِــى الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْــمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »(أخرجه أبو داود)[119] .

١٩ – ومنهم الموكل بالصُّور :

[117] – برقم(٦٤٠٨) وصحيح ابن حبان – (٣ / ١٣٩) (٨٥٧)

[118] – برقم(٣٧٠٥) وهو صحيح

[119] – سنن أبي داود برقم(٣٦٤٣) وهو صحيح

وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم . وهو أحد حملة العرش . والصور : قرن عظيم ينفخ فيه . عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِى قَالَ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ - فَقَالَ مَا الصُّورُ قَالَ « قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيه ».(أخرجه الترمذي)[١٢٠]
وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَد الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ ». قَالَ الْمُسْلِمُونَ فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا »(أخرجه الترمذي)[١٢١] .

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات : نفخة الفزع،ونفخة الصعق،ونفخة البعث . قال تعالى : { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } (النمل : ٨٧) .

وهذه هي نفخة الفزع وقد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (الزمر : ٦٨) .

٢٠- ومنهم زوار البيت المعمور :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ... وفيه ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - ﷺ -. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ .. » (أخرجه مسلم)[١٢٢]

---

[١٢٠] - برقم(٢٦١٧) وهو صحيح
[١٢١] - سنن الترمذى برقم(٣٥٥١) وهو صحيح لغيره
[١٢٢] - برقم(٤٢٩)

وعند البخاري عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رضى الله عنهما - قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ -« وفيه .... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ،قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ،وَنِعْمَ الْمَجِىءُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِىٍّ،فَرُفِعَ لِىَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، »[١٢٣]

٢١- تبليغ الرسول ﷺالسلام من أمته :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِى الأَرْضِ يُبَلِّغُونِى مِنْ أُمَّتِى السَّلاَمَ » (أخرجه النسائي)[١٢٤] .

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم .



---

[١٢٣] - برقم(٣٢٠٧)

[١٢٤] - برقم(١٢٩٠) وهو صحيح

المبحث الرابع

الملائكة والأنبياء عليهم السلام

١ – الملائكة وآدم عليه السلام :

ذكر القرآن الكريم المحاورة التي جرت في الملأ الأعلى بين الله وملائكته حول اســتخلاف آدم في الأرض. قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَــالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَــالَ إِنِّــي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْــتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) }[البقرة : ٣٠ – ٣٣].

وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ قَوْماً يَخْلُــفُ بَعْضُــهُم بَعْضاً،قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ،وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ،أُمَكِّنُ لَهُــمْ فِيهــا،وَأَجْعَلُهُمْ أَصْــحَابَ سُــلْطَانٍ عَلَيها،فَقَالَت المَلائِكَةُ مُسْتَعْلِمينَ مِنَ الرَّبِّ الكَرِيمِ عَنِ الحِكْمَةِ مِنْ خَلْقِ هذا الخَلَفِ الــذي سَيُوجَدُ مِنْهُ مَنْ يُفْسِدُ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ . فَإِنْ كَانَ هذا القَصُودُ مِنْ خَلْقِهِمْ عِبَادَةَ اللهِ،فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ،وَنُصَلِّي لَكَ (نُقَدِّسُ لَكَ)،وَلا يَصْدُرُ مِنَّا شَيءٌ مِنْ ذلِكَ الفَسَادِ . فَقَــالَ اللهُ تَعَالى : إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ مُبَرِّراتِ خَلْقِهِمْ مَا لاَ تَعْلَمُــونَ أَنْتُمْ،فَأَجْعَــلُ فِــيهِمُ الأَنبِيَــاءَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءَ وَالصَّالِحِينَ وَالخَاشِعِينَ .

وَالكَافِرُونَ الفَاسِقُونَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ بِإِثَارَةِ الفِتَنِ والقَلاقِلِ وَشَنِّ الحُرُوبِ،وَتَخْرِيبِ العُمْرَانِ وَقَطْعِ الأَرْحَامِ،والإِسَاءَةِ إِلى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ تَوَادٍّ وَتَرَاحُمٍ فِيمَــا بَيْــنَهُم . وَهُؤلاَءِ هُمُ الخَاسِرُونَ لأَنَّهُمْ يُحْرَمُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ . وَيَصِيرُونَ إِلى عَذَابٍ عَظِــيمٍ يَــوْمَ القِيَامَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا : الأَرْضِ والسَّمَاءِ وَأَصْنَافِ الحَيَوانَــاتِ والسَّهْلِ وَالجَبَلِ وَالبَحْرِ . . وَذَواتها وَخَصَائصِهَا وَأَفْعَالها . . ثُمَّ عَرَضَ هذه المُسَــمَّيَاتِ عَلَى المَلاَئكَة فَقَالَ لَهُمْ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هذه الأَشْيَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَعْتَقِدُونَ مِنْ أَنَّنِي لَمْ أَخْلُق أَعْلَمَ منْكُمْ؟

قَالَت المَلاَئكَةُ : تَنَزَّهَ اسْمُكَ يَارَبُّ (سُبْحَانَكَ) إِنَّنا لاَ نَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنا،وَهذه الأَشْيَاءُ لاَ نَعْرِفُها،وَأَنْتَ العَلِيمُ بِكُلِّ شَيءٍ،الحَكِيمُ في خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ،وَفِي تَعْلِيمِكَ مَا تَشَاءُ،وَمَنْعِكَ مَا تشاءُ

قَالَ اللهُ تَعَالى لآدَمَ : أَخْبِرْهُمْ يَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ هذه الأَشْيَاءِ فَأَخْبَرَهُمْ . وَلَمَّا ظَهَرَ فَضْلُ آدَمَ عَلَى المَلاَئكَة فِي سَرْدِه مَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الأَشْيَاءِ،قَالَ اللهُ تَعَالى للْمَلاَئكَة : أَلَمْ أَقُــلْ لَكُمْ إِنَّنِي أَعْلَمُ الغَيْبَ الظَّاهِرَ وَالخَفِيَّ فِي السَّمَاءِ والأَرْضِ وَأَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلانيــتَكُمْ (أَيْ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَظْهَرُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها)،كَمَا أَعْلَمُ مَا كُنْــتُمْ تَكْتُمُونَهُ (مَنْ نَحْوِ قَوْلِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ اللهَ لَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيه منَّا،فَنَحْنُ أَحَــقُّ بالخِلاَفَة مِنْ هذا المَخْلُوقِ)،كَمَا أَعْلَمُ مَا انْطَوَتْ عَلَيهِ نَفْسُ إِبليسَ مِنْ حَسَــدٍ وَمُخَالَفَــةٍ لأَمرِ الله .[125]

ومضت مشيئة الله وقدرته فخلق آدم من صلصال من حمــإٍ مســنون،وأمر ملائكتــه أن يسجدوا له بعد أن سواه بشراً ونفخ فيه الروح. قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٨)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٢٩)فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٣٠)إِلَّــا إِبْلِــيسَ أَبَــى أَنْ يَكُــونَ مَــعَ السَّاجِدِينَ(٣١)}[الحجر:٢٨-٣١] .وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّــكَ لِلْمَلاَئكَــةِ : إِنِّــي سَأَخْلُقُ بَشَراً (هُوَ آدَمُ) مِنْ طِينٍ يَابِسٍ يُصَلْصِلُ إِذَا نُقِرَ باليَدِ،وَقَدْ كَانَ مِــنْ قَبْلُ،طِينــاً رَطباً (حَمَأً) مُتَغَيِّراً،مُسْوَدَّ اللَّوْنِ (مَسْنُون) .

وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَ المَلاَئكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ،سَجَودَ تَعْظِيمٍ لاَ سُــجُودَ عِبَادَةٍ،حِينَمَــا يُسَوِّيهِ وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ .

---

[125] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٧)

فَاسْتَجَابَ المَلاَئكَةُ جَميعاً لأَمْرِ رَبِّهِمْ،فَسَجَدُوا لآدَمَ عَلَيْه السَّلاَمُ .
وَلَمْ يَشُذَّ عَنِ السُّجُودِ امْتثَالاً لأَمْرِ الله تَعَالَى إلاَّ إبْليسُ،فَقَدْ رَفَضَ السُّجودَ حَسَداً وَكُفْراً وَعنَاداً وَاسْتكْبَاراً .
فَسَأَلَهُ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ قَائلاً : مَا لي،يَا إبْليسُ،لاَ أَرَاكَ مَعَ السَّاجدينَ المُمْتَثلينَ لأَمْري؟
فَقَالَ إبْليسُ لرَبِّه الكَريم : إنَّهُ غَيْرُ مُسْتَعدٍّ للسُّجُود لمَخْلُوق خَلَقَهُ اللهُ من طين يَابسٍ مُتَغَيِّر اللَّوْن مُسْوَدِّه . فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى إبْليسَ بالخُرُوجِ منَ المَنْزلَة التي كَانَ فيهَا منَ المَلإ الأَعْلَى،وَهُوَ مَطْرُودٌ منْ رَحْمَة الله (أَوْ مَرْجُومٌ بالشُّهُب – رَجيمٌ) .[126]
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَته،طُولُهُ ستُّونَ ذرَاعًا،فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئكَ النَّفَرِ منَ الْمَلاَئكَة جُلُوسٌ،فَاسْتَمعْ مَا يُحَيُّونَكَ،فَإنَّهَا تَحيَّتُكَ وَتَحيَّةُ ذُرِّيَّتكَ . فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ . فَقَالُوا السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّه . فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّه،فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَة آدَمَ،فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ » [127].
قَالَ أَبُو حَاتمٍ : هَذَا الْخَبَرُ تَعَلَّقَ به مَنْ لَمْ يُحْكمْ صنَاعَةَ الْعلْمِ وَأَخَذَ يُشَنِّعُ عَلَى أَهْلِ الْحَديث الَّذينَ يَنْتَحلُونَ السُّنَنَ،وَيَذُبُّونَ عَنْهَا،وَيَقْمَعُونَ مَنْ خَالَفَهَا بأَنْ قَالَ : لَيْسَتْ تَخْلُو هَذه الْهَاءُ منْ أَنْ تُنْسَبَ إلَى الله أَوْ إلَى آدَمَ،فَإنْ نُسبَتْ إلَى الله كَانَ ذَلكَ كُفْرًا،إذْ {لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ} ،وَإنْ نُسبَتْ إلَى آدَمَ تَعَرَّى الْخَبَرُ عَنِ الْفَائدَة،لأَنَّهُ لاَ شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خُلقَ عَلَى صُورَته لاَ عَلَى صُورَة غَيْره.
وَلَوْ تَمَلَّقَ قَائلُ هَذَا إلَى بَارئه في الْخَلْوَة،وَسَأَلَهُ التَّوْفيقَ لإصَابَة الْحَقِّ وَالْهدَايَة للطَّريق الْمُسْتَقيمِ في لُزُومِ سُنَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ لَكَانَ أَوْلَى به منَ الْقَدْحِ في مُنْتَحلي السُّنَنِ بمَا يَجْهَلُ مَعْنَاهُ،وَلَيْسَ جَهْلُ الإنْسَان بالشَّيْءِ دَالاً عَلَى نَفْيِ الْحَقِّ عَنْهُ لجَهْله به.

[126] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (1 / 1831)
[127] – صحيح البخارى– المكنز – (6227)

وَنَحْنُ نَقُولُ : إنَّ أَخْبَارَ الْمُصْطَفَى ﷺ إِذَا صَحَّتْ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ لاَ تَتَضَادُّ،وَلاَ تَتَهَاتَرُ،وَلاَ تَنْسَخُ الْقُرْآنَ بَلْ لِكُلِّ خَبَرٍ مَعْنًى مَعْلُومٌ يُعْلَمُ،وَفَصْلٌ صَحِيحٌ يُعْقَلُ،يَعْقِلُهُ الْعَالِمُونَ.

فَمَعْنَى الْخَبَرِ عِنْدَنَا بِقَوْلِهِ ﷺ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ : إِبَانَةُ فَضْلِ آدَمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ،وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى آدَمَ،وَالْفَائِدَةُ مِنْ رُجُوعِ الْهَاءِ إِلَى آدَمَ دُونَ إِضَافَتِهَا إِلَى الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلاَ – جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُشَبَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ – أَنَّهُ جَلَّ وَعَلاَ جَعَلَ سَبَبَ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ الْمُتَحَرِّكُ النَّامِي بِذَاتِهِ اجْتِمَاعَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى،ثُمَّ زَوَالَ الْمَاءِ عَنْ قَرَارِ الذَّكَرِ إِلَى رَحِمِ الْأُنْثَى،ثُمَّ تَغَيُّرَ ذَلِكَ إِلَى الْعَلَقَةِ بَعْدَ مُدَّةٍ،ثُمَّ إِلَى الْمُضْغَةِ،ثُمَّ إِلَى الصُّورَةِ،ثُمَّ إِلَى الْوَقْتِ الْمَمْدُودِ فِيهِ،ثُمَّ الْخُرُوجِ مِنْ قَرَارِهِ،ثُمَّ الرَّضَاعِ،ثُمَّ الْفِطَامِ،ثُمَّ الْمَرَاتِبِ الْأُخَرِ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا إِلَى حُلُولِ الْمَنِيَّةِ بِهِ. هَذَا وَصْفُ الْمُتَحَرِّكِ النَّامِي بِذَاتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلْقَهُ عَلَيْهَا،وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ تَقْدُمُهُ اجْتِمَاعُ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى،أَوْ زَوَالُ الْمَاءِ،أَوْ قَرَارُهُ،أَوْ تَغْيِيرُ الْمَاءِ عَلَقَةً أَوْ مُضْغَةً،أَوْ تَجْسِيمُهُ بَعْدَهُ،فَأَبَانَ اللَّهُ بِهَذَا فَضْلَهُ عَلَى سَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ خَلْقِهِ،بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نُطْفَةً فَعَلَقَةً،وَلاَ عَلَقَةً فَمُضْغَةً،وَلاَ مُضْغَةً فَرَضِيعًا،وَلاَ رَضِيعًا فَفَطِيمًا،وَلاَ فَطِيمًا فَشَابًّا كَمَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَةُ غَيْرِهِ ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ حَشْوِيَّةٌ يَرْوُونَ مَا لاَ يَعْقِلُونَ وَيَحْتَجُّونَ بِمَا لاَ يَدْرُونَ.[128]

وعندما انقضى أجل آدم عليه السلام تولت الملائكة غسله ودفنه عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ آدَمُ غَسَّلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ بِالْمَاءِ وِتْرًا وَأَلْحَدُوا لَهُ،وَقَالُوا : هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ فِي وَلَدِهِ "[129]

٢– الملائكة تبشر إبراهيم بإسحاق عليهما السلام :

جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه وعليهم السلام تحمل له البشرى بالولد بعد بلوغه الكبر وبلوغ زوجه سن اليأس .قال تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا

---

[128] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٣)

[129] – المستدرك للحاكم (٤٠٠٤) وصحيح الجامع (٥٢٠٧) صحيح

قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)[هود : ٦٩ – ٧٣].

ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوبَ بعده، فقالوا: سلامًا، قال ردًّا على تحيتهم: سلام، فذهب سريعًا وجاءهم بعجل سمين مشويٍّ ليأكلوا منه.

فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضمرها، قالت الملائكة –لما رأت ما بإبراهيم من الخوف– : لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم

وامرأة إبراهيم –سارة– كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجبًا مما سمعت، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

قالت سارة لما بُشِّرت بإسحاق متعجبة: يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟ إن إنجاب الولد مِن مثلي ومثل زوجي مع كبر السن لَشيء عجيب.

قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال، ذو مَجْد وعظمة فيها.[١٣٠]

قال الشوكاني رحمه الله :– وكان مرورهم عليه لتبشيره بهذه البشارة المذكورة فظنهم أضيافاً وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل – وقيل كانوا تسعة وقيل أحد عشر.[١٣١]

٣– الملائكة وإسماعيل عليهما السلام :

[١٣٠] – التفسير الميسر – (٤ / ٤٩)

[١٣١] – فتح القدير – (٣ / ٤٦٣)

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ،اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّىَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ،ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ،وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهْىَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ،فَوْقَ زَمْزَمَ فِى أَعْلَى الْمَسْجِدِ،وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ،وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ،فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ،وَ وَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ،ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِى الَّذِى لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَىْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا،وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ آللَّهُ الَّذِى أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ . قَالَتْ إِذًا لاَ يُضَيِّعُنَا . ثُمَّ رَجَعَتْ،فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ،ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ،فَقَالَ (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ) حَتَّى بَلَغَ (يَشْكُرُونَ) . وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ،وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ،حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِى السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا،وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى – أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ – فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ،فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِى الأَرْضِ يَلِيهَا،فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِىَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا،فَهَبَطَتْ مِنَ،الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِىَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا،ثُمَّ سَعَتْ سَعْىَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ،حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِىَ،ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ،فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا،فَلَمْ تَرَ أَحَدًا،فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « فَذَلِكَ سَعْىُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا » . – فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا،فَقَالَتْ صَهٍ . تُرِيدَ نَفْسَهَا،ثُمَّ تَسَمَّعَتْ،فَسَمِعَتْ أَيْضًا،فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ،إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ . فَإِذَا هِىَ بِالْمَلَكِ،عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ،فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ – أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ – حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ،فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا،وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِى سِقَائِهَا،وَهْوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ – أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ – لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا » . – قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا،فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ،فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ،يَبْنِى هَذَا الْغُلاَمُ،وَأَبُوهُ،وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ . وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ،تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ،فَكَانَتْ كَذَلِكَ،حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ

جُرْهُمَ – أَوْ أَهْلُ بَيْت منْ جُرْهُمَ – مُقْبلينَ منْ طَرِيقِ كَدَاء فَنَزَلُوا فِى أَسْفَلِ مَكَّــةَ،فَرَأَوْا طَائرًا عَائفًا . فَقَالُوا إنَّ هَذَا الطَّائرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاء،لَعَهْــدُنَا بهَــذَا الْــوَادِى وَمَــا فيــه مَاءٌ،فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ،فَإِذَا هُمْ بالْمَاء،فَرَجَعُوا فَــأَخْبَرُوهُمْ بالْمَاء،فَأَقْبَلُوا،قَــالَ وَأُمُّ إسْمَاعيلَ عنْدَ الْمَاء فَقَالُوا أَتَأْذَنينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عنْدَك فَقَالَتْ نَعَمْ،وَلَكنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِــى الْمَاء . قَالُوا نَعَمْ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « فَأَلْفَى ذَلكَ أُمَّ إسْــمَاعيلَ،وَهْىَ تُحبُّ الإِنْسَ » فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إلَى أَهْليهِمْ،فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إذَا كَانَ بهَا أَهْــلُ أَبْيَــات منْهُمْ،وَشَبَّ الْغُلاَمُ،وَتَعَلَّمَ الْعَرَبيَّةَ منْهُمْ،وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حينَ شَبَّ،فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً منْهُمْ،وَمَاتَتْ أُمُّ إسْمَاعيلَ،فَجَاءَ إبْرَاهيمُ،بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إسْمَاعيلُ يُطَــالعُ تَركَتَــهُ،فَلَمْ يَجدْ إسْمَاعيلَ،فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغى لَنَا . ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشهِمْ وَهَيْئَــتهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بشَرٍّ،نَحْنُ فِى ضيقٍ وَشدَّة . فَشَكَتْ إلَيْه . قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُك فَاقْرَئى عَلَيْه السَّلاَمَ،وَقُولى لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابه . فَلَمَّا جَاءَ إسْمَاعيلُ،كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا،فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ منْ أَحَد قَالَتْ نَعَمْ،جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا،فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ،وَسَأَلَنى كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِى جَهْد وَشدَّة . قَالَ فَهَلْ أَوْصَاك بشَــىْء قَالَــتْ نَعَمْ،أَمَرَنــى أَنْ أَقْــرَأَ عَلَيْــكَ السَّلاَمَ،وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابكَ . قَالَ ذَاك أَبى وَقَدْ أَمَرَنى أَنْ أُفَارقَك الْحَقــى بأَهْلــك . فَطَلَّقَهَا،وَتَزَوَّجَ منْهُمْ أُخْرَى،فَلَبثَ عَنْهُمْ إبْرَاهيمُ مَا شَــاءَ اللَّــهُ ثُــمَّ أَتَــاهُمْ بَعْــدُ،فَلَمْ يَجدْهُ،فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَته،فَسَأَلَهَا عَنْهُ . فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغى لَنَا . قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَــأَلَهَا عَنْ عَيْشهِمْ،وَهَيْئَتهِمْ . فَقَالَتْ نَحْنُ بخَيْر وَسَعَة . وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّه . فَقَالَ مَــا طَعَــامُكُمْ قَالَت اللَّحْمُ . قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَت الْمَاءُ . فَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِى اللَّحْمِ وَالْمَــاء . قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئذ حَبٌّ،وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فيه » . قَالَ فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بغَيْرِ مَكَّةَ إلاَّ لَمْ يُوَافقَاهُ . قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُــك فَــاقْرَئى عَلَيْــه السَّلاَمَ،وَمُريه يُثْبتُ عَتَبَةَ بَابه،فَلَمَّا جَاءَ إسْمَاعيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ منْ أَحَد قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَــا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَة،وَأَثْنَتْ عَلَيْه،فَسَأَلَنى عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ،فَسَأَلَنى كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُــهُ أَنَّــا بخَيْر . قَالَ فَأَوْصَاك بشَىْء قَالَتْ نَعَمْ،هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ،وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبتَ عَتَبَةَ بَابكَ . قَالَ ذَاك أَبى،وَأَنْت الْعَتَبَةُ،أَمَرَنى أَنْ أُمْسكَك . ثُمَّ لَبثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ،ثُمَّ جَاءَ بَعْــدَ

ذَلكَ،وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِى نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَة قَرِيبًا منْ زَمْزَمَ،فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْه،فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالدُ بالْوَلَد وَالْوَلَدُ بالْوَالد،ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعيلُ،إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنى بأَمْرٍ . قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ . قَالَ وَتُعِينُنى قَالَ وَأُعِينُكَ . قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنى أَنْ أَبْنِىَ هَا هُنَا بَيْتًا . وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَة مُرْتَفعَة عَلَى مَا حَوْلَهَا . قَالَ فَعنْدَ ذَلكَ رَفَعَا الْقَوَاعدَ منَ الْبَيْت،فَجَعَلَ إِسْمَاعيلُ يَأْتى بالْحجَارَة،وَإِبْرَاهيمُ يَبْنى،حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بهَذَا الْحَجَر فَوَضَعَهُ لَهُ،فَقَامَ عَلَيْه وَهْوَ يَبْنى،وَإِسْمَاعيلُ يُنَاوِلُهُ الْحجَارَةَ،وَهُمَا يَقُولاَن (رَبَّنَا تَقَبَّلْ منَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ) . قَالَ فَجَعَلاَ يَبْنيَان حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْت،وَهُمَا يَقُولاَن (رَبَّنَا تَقَبَّلْ منَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ) .[١٣٢]

وعَنْ سَعيد بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ النَّبىُّ – ﷺ – « يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعيلَ،لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ – أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ منَ الْمَاءِ – لَكَانَتْ عَيْنًا مَعينًا،وَأَقْبَلَ جُرْهُمُ فَقَالُوا أَتَأْذَنينَ أَنْ نَنْزِلَ عنْدَك قَالَتْ نَعَمْ وَلاَ حَقَّ لَكُمْ فى الْمَاءِ . قَالُوا نَعَمْ » .[١٣٣]

٤– الملائكة ولوط عليه السلام

أرسل الله ملائكته إلى لوط عليه السلام لإخباره بهلاك قومه المكذبين والمصرين على ارتكاب أفضع الفواحش،وأمره بالخروج من هذه القرية الظالمة للنجاة من العذاب .قال تعالى : { وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ

[١٣٢] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٣٦٤) أطرافه ٢٣٦٨ ، ٣٣٦٢ ، ٣٣٦٣ ، ٣٣٦٥ تحفة ٥٤٣٩ ، ٥٦٠٠ – ٤/١٧٥ –يتلبط : يتلوى

[١٣٣] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٣٦٨)

بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) {[هود : ٧٧ - ٨١]

ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ساءه مجيئهم واغتمَّ لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه، وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

وجاء قومُ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا مِن قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تَزَوَّجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون، وسماهن بناته؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فاخشوا الله واحذروا عقابه، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبين ذلك؟

قال قوم لوط له: لقد علمتَ من قبلُ أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

قال لهم حين أبوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصارًا معي، أو أركَن إلى عشيرة تمنعني منكم، لَحُلْتُ بينكم وبين ما تريدون.

قالت الملائكة: يا لوط إنَّا رسل ربك أَرْسَلَنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فاخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه، لكنَّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.[١٣٤]

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطًا، ساءَه مَجيئهم = وهو "فعل" من "السوء" =(وضاق بهم)،بمجيئهم(ذَرْعًا)، يقول: وضاقت نفسه غما بمجيئهم . وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال:(هذا يوم عصيب).[١٣٥]

---

[١٣٤] - التفسير الميسر - (٤ / ٥٧)

[١٣٥] - تفسير الطبري - (١٥ / ٤٠٧)

وقال الخطيب :

" « وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِي ءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ ».سىء بهم : أي ساءه وآلمه نزولهم عنده،واحتماؤهم به.وضاق بهم ذرعا : أي أحسّ العجز عن حمايتهم،لأنه يتصدّى وحده لقومه جميعا .. وأصل الذرع من الذراع التي يعملها الإنسان فى تناول الأشياء ..ثم استعملت استعمالا مجازيا فى الدلالة على قدرة الإنسان أو عجزه،حسب طول ذراعه أو قصرها.والإحساس بالمسئولية الملقاة على لوط لحماية ضيوفه،هو الذي آلمه وأوجعه،وضيّق مسالك النجاة بهم فى وجهه،فقال : « هـذا يَـوْمٌ عَصِيبٌ » أي يوم قاس،شديد الوقع على النفس،لما سيطلع عليه فيه من أحداث مزلزلة،توقعه فى هذا المأزق،وتفتح بينه وبين قومه مجالا فسيحا للصراع بين جبهتين غير متكافئتين!

« وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي .. أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ».ولقد وقع ما توقعه لوط .. وها هى ذى العاصفة تدور حول بيته،وتحطّم الأبواب .. فيقتحم القوم عليه الدار،وقد جاءوا سراعا من كل جهة،يتسابقون لإدراك هذا الصيد،قبل أن يفلت من أيديهم! « وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ » أي يسرعون إليه فى خفّة وطيش.وانظر كيف تبلغ السفاهة بالقوم .. إنهم ليأتون الفاحشة فى غير مبالاة،ولا ستر من حياء! يأتونها جهرة وفى صورة جماعية،دون أن يجد أحدهم حرجا أو استحياء! وهذا غاية التدلّى والإسفاف فى عالم الإنسان،إلى درجة لا ينزل إليها كثير من عالم الحيوان .. حيث تأبى على بعض الحيوان طبيعته أن يتصل بأنثاه على مرأى من بنى جنسه! بله اتصاله بذكر!

الأمر الذي لم تعرفه الكائنات الحيّة،إلا فى هذا الصنف الرّذل الخسيس من الناس! ـــ وفى قوله تعالى : « وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ » عرض لسيرة هؤلاء القوم،وفضح لمخازيهم،وأن هذا الذي جاءوا إليه ليس ابن يومه،وإنما هو داء تعاطاه القوم من قبل،فكان طبيعة غلبت عليهم،حتى لقد صار عادة مألوفة عندهم،وأمرا مستقرا فيهم،ليس فيه ما يثير أي إحساس عندهم بالخزي أو الاستحياء ..وقد عبّر القرآن عن هذا المنكر الذي يتعاطونه

بالوصف المناسب له،دون أن يذكر اسمه،تقزّزا له،وصيانة للأفواه أن تتلفظ بـــه،وللأسماع أن يقع عليها ..ومن جهة أخرى،فقد جاء القرآن بوصفه جمعا .. هكذا : « الســيئات » للدلالة على أنه منكر غليظ مركّب،وأنه ليس سيئة،بل هو سيئات،وليس منكرا،بل هـــو منكرات! ـــ وفى قوله تعالى : « يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ » دعوة لهـــم إلى أن يكون أربهم وشهوتهم للنساء .. لا للرجال،فذلك هو الوضع الطبيعيّ للحياة الإنسانية .. فهو ـــ عليه السلام ـــ يدعوهم إلى التزوج ببناته،وإلى التعفف بالزواج بالمرأة والاتصـــال بها،حتى يعفّوا عن ارتكاب هذا المنكر،والاتصال بالرجال ..وفى هذا يقول اللّه تعالى على لسان لوط لهم : « إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعـــالَمِينَ أَإِنَّكُـــمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ » (٢٨ ـــ ٢٩ العنكبوت).

ويقول سبحانه فى موضع آخر على لسان لوط أيضا : « أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِـــنَ الْعـــالَمِينَ وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَـــوْمٌ عـــادُونَ » (١٦٥ ـــ ١٦٦ : الشعراء).

قوله تعالى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ »..والسؤال هنا : هل كان القوم مؤمنين باللّه حتى يذكّرهم لوط باسمه تعالى،ويدعوهم إلى تقواه ؟

والجواب : أنهم لو كانوا مؤمنين باللّه،لما استعلن فيهم هذا المنكر على تلك الصورة الـــتي سجّلها القرآن عليهم .. فإن الإيمان باللّه يردّ الإنسان عن كثير من المنكر،ويقيم بين النّاس وازعا يزعهم من أن يخرجوا هذا الخروج السافر عن إنسانيتهم،وأن يتدلّوا هـــذا التـــدلّى المسفّ إلى مادون الحيوان.

فذكر اللّه هنا،إنما هو تخويف لهم،وتهديد بقوة اللّه،إن لم يتقوه،ويستقيموا علـــى طريـــق المؤمنين .. وفى هذا تجاهل لإنكارهم اللّه والإيمان به،إذ لا معتبر لهذا الإنكـــار فى وجـــه الدلائل القائمة بين أيديهم على وجود اللّه،وكمال قدرته.

« قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ ».لقد أنكر القوم على « لوط » ما دعاهم إليه من التزوج بالنساء،ومنهن بناته اللائي عرضهنّ عليهم،وذلك ليكون

اتصالهم بالنساء صارفا لهم عن إتيانهم هذا المنكر مع الرجال! وقد جاء إنكارهم هـــذا فى صورة فريدة من الدناءة والخسّة والتجرّد من الحياء ..

« لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ » أي إنك لم تعرض علينا أمرا جديدا لتصـــرفنا عما نطلب .. فأنت تعلم مالنا فى بناتك من حق،وأننا نملك التزوج بهنّ من غير اعتراض .. فالتزوج بالنساء أمر متفق عليه بيننا وبينك،كما هو متفق عليه بين النـــاس جميعـــا .. ولكن ماذا عندك لنا فى هذا الذي نطلبه من الضيوف ؟ « وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ » ! فهـــل فى بناتك أو بنات غيرك ما يحقق لنا هذا الذي نريده ؟

ولا يجد لوط لهذه السفاهة جوابا،ولا يرى لهذا السوء الذي يراد بضيوفه مردّا ..« قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » !!

وماذا يفعل لوط أمام هؤلاء القوم،الذين ركبوا رءوسهم،فانقلبت فى أعينـــهم أوضـــاع الأشياء،وتغيرت معالمها ؟ إنه لو كانت بين يديه قوة لأخذ على أيـــديهم بها،ولعاملـــهم معاملة الكلاب المسعورة .. ولكن أنّى له القوة،وهو وحده،والقوم جميعا حرب عليـــه .. حتى امرأته!!

كما أنه ليس هناك من يستعين به على هؤلاء القوم،ويطلب غياثه واللّياذ به،حتى يضمن الحماية لضيفه النازلين فى حماه ؟

وهنا تجىء نجدة السماء،وتفتح للوط أبواب حصن حصين يأوى إليه،على حين تنزل على القوم صواعق الهلاك،فتأتى عليهم فى لحظة خاطفة!

ومن عجب أن تطلع على « لوط » هذه القوى الرهيبة من موطن الضعف الذي كـــان يريد الدفاع عنه،والحماية له .. الضّيف الذين ظن أنهم وقعوا لقمة سائغة لأيدى هـــؤلاء القوم الآثمين،هم مطلع هذه النجدة!

« قالُوا يا لُوطُ .. إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ .. لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ .. فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ .. وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ .. إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ .. إِنَّ مَوْعِـــدَهُمُ الصُّـــبْحُ .. أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ».لقد كشف الرسل عن أنفسهم للوط،فعرف،من هم ؟ وما الأمـــر

الذي جاءوا له ؟ إنهم رسل اللّه،وقد جاءوا إليه بالمهلكات لقومه،وليخرجوه من بين هؤلاء القوم،حتى لا يقع عليه مكروه من البلاء الذي سيحلّ بهم.

« إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ » وإذ كنّا كذلك،فإنهم « لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ » ولن يستطيعوا أن يخلصوا إلينا،وينتزعونا من يدك ..

« فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ »..سرى،وأسرى،أي سار ليلا .. والقطع من الليل،هى البقية منه،قبيل دخول النهار.

والأمر الذي توجه به الملائكة إلى لوط،هو أن يخرج بأهله فى بقية من الليل،أي قبل أن يطلع الصباح،وألا يلتفت هو ومن معه إلى الوراء،حيث القرية التي خلفوها وراء ظهورهم ..وفى النهى عن الالتفات إلى تلك القرية ومن فيها،إشارة إلى أنها دار إثم،ومباءة فسق،ينبغى أن يقطع المؤمن كل مشاعره نحوها،فلا يتبعها بصره،ولا يلقى عليها نظرة وداع .. وهكذا ينبغى أن يكون شأن المؤمن مع كل منكر ..أن يعتزله،ويعتزل مواطنه،والمتعاملين به .. فلا يحوم حوله،ولا يمرّ بداره،ولا يتصل بأهله .. فإن المنكر مرض خبيث،يعلق داؤه بكل من يدنو منه ..أو يتنفس فى الجو الذي تفوح عفونته فيه! .. ولهذا فقد أمر النبىّ ﷺ المسلمين حين مرّوا بديار ثمود،وهم فى طريقهم إلى تبوك — أمرهم أن يجدّوا فى السير،وألا يلتفتوا إلى هذه المواطن،وأن يغلقوا حواسهم عنها،حتى لا يدخل عليهم شىء منها .. شأنهم فى هذا شأن من يمرّ بجثث متعفنة،تهب منها ريح خبيثة،فيسدّ أنفه،وينطلق مسرعا حتى يبرحها .. وفى هذا درس عملىّ للتشنيع على المنكر وأهله.

وفى قوله تعالى : « إِلَّا امْرَأَتَكَ » إشارة إلى أن امرأة لوط لا تملك من أمرها ألّا تلتفت،بل هى مقهورة على الالتفات،والخروج عن هذا النهى،وذلك لما أراد اللّه لها من هلاك .. « إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ ».. لأنها كانت مع القوم بمشاعرها وعواطفها،ولهذا التفتت إليهم،وخالفت أمر اللّه. بألا يلتفت أحد ممن خرج مع لوط من أهله .. و لم تفرّ منهم كما يفرّ المرء من بلاء طلع عليه،أو مكروه أحاط به،فكان أن أخذها اللّه بما أخذ به هؤلاء القوم الآثمين .. إنها منهم،وحقّ عليها ما حق عليهم : « إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ ».

« إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ .. أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ».. وفى هذا تطمين للوط،وأن ما بينه وبين القوم سينتهى مع مطلع هذا الصبح من ليلته تلك .. ثم هو من جهة أخرى حثّ للوط على أن يبادر الصبح قبل أن يطلع عليه،وأن يخرج من القرية ومعه بقية من الليل،حتى يبتعد عن القرية قبل أن يقع هذا الانفجار المهول،مع أول خيوط من ضوء الصبح .. « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟ » فهذا استفهام تقريرى،بمعنى ألا ترى أن الصبح قريب .. فهيّا أسرع،وخذ أهبتك للخروج من هذه القرية،قبل أن يدركك الصبح،وتقع الواقعة! "[136]

وجاء العذاب كما قال تعالى :{ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) [الحجر : ٦١ - ٧٧] }

قوله تعالى : « إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ » أي فى هذه المخلفات آية لمن كان مستعدا للإيمان،حين تلوح له دلائل الحق،وتبدو له شواهده ..

ومن إعجاز القرآن هنا ما نجده فى اختلاف النظم بين فاصلتى الآيتين فى قوله تعالى : « إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » وفى قوله سبحانه : « إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ».

. ومن أسرار هذا الاختلاف :

أولا : أن المتوسّمين ــ وهم كما قلنا ــ أصحاب البصر الحديد والبصيرة النافذة ــ تتكشف لهم من ظواهر الأشياء أمور لا تتكشف لغيرهم من سائر الناس ..

[136] - التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (٦ / ١١٧٧)

فهم يرون آيات،على حين يرى غيرهم آية .. « إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » وذلك فيما تحدّث به أخبار القوم الظالمين ..

وثانيا : أن المؤمنين،أو من فى كيانهم استعداد للإيمان ـــ هؤلاء،لا يحتاجون إلى كثير مـــن الأدلة والبراهين،حتى يذعنوا للحق،ويهتدوا إلى الإيمان،وإنما تكفيهم الإشـــارة الدالّـــة،أو اللمحة البارقة،حتى يكونوا على طريق الإيمان .. « إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ».. وذلك فيما تحدث به مخلّفات هؤلاء القوم الهالكين.

وثالثا : أن الإيمان أمره هيّن،ومراده قريب .. وأن القاصد إليه،الباحث عنه،لا يحتـــاج إلى معاناة نظر،أو كدّ ذهن،وكل ما يحتاج إليه فى تلك الحـــال،هو أن يخلـــى نفســـه مـــن التشبث،والعناد،والمكابرة،وأن يلقى وجه الإيمان بقلب سليم،ورأى مستقيم .. عندئذ يرى أن الإيمان أقرب شىء إليه،وآلف حقيقـــة عنـــده .. إذ كـــان جاريـــا مـــع الفطـــرة الإنسانية،متجاوبا مع أشواقها وتطلعاتها.

هذا،وقد جاء النظم القرآنى لقصّة لوط هنا،مخالفا لما جاء عليه فى مواضع أخرى .. ذلـــك أن الملائكة هنا أخبروه بهلاك القوم،وبما ينبغى أن يفعله هو وأهله حتى لا ينزل بهم ما ينزل بأهل القرية من دمار وهلاك ـــ أخبروه بهذا قبل أن يعلم أهل القرية بهم،وقبل أن يجيئـــوا إلى لوط يريدون الفاحشة فى هؤلاء الضيوف .. هكذا تحدث الآيات هنا

وفى مواضع أخرى جاء النظم القرآنى على غير هذا،كما يقول اللّه تعالى فى سورة « هود » مثلا : « وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هذا يَوْمٌ عَصِـــيبٌ وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُـــنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مـــا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » (الآيات : ٧٧ ـــ ٨١ : هود) وترتيب الأحداث هنا غير ترتيبها فى النظم السابق .. كما تـــرى ..فما جواب هذا ؟

والجواب ــ واللّه أعلم ــ هو أن الملائكة فى هذه الآيات ــ قــد ألقــوا بالبشــرى إلى لوط،حين التقوا به،ورأوا ما دخل عليه منهم من خوف وفزع،فقالوا له : « لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغــابِرِينَ ». . ثم جــاءه قومــه بعــد ذلك،وكان ما كان منهم معه ومع الملائكة .. فكان من لوط كرب وضــيق ممــا حــلّ بالملائكة،وتشبث قومه بهم،ومحاولة الاعتداء عليهم،فكان حديث الملائكة له بقــولهم : « إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ » توكيدا لما حدّثوه به من قبل،وأنهم إذا كانوا على تلك الصفة فلن ينالهم أحد بمكروه .. ثم كان من تمام ذلك أن أعادوا تذكيره بما حدثوه به مــن قبــل،وهو أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلى هؤلاء القوم الذين خلفوهم وراءهم ليلاقوا مصيرهم.[١٣٧]

إننا نعلم علم اليقين أن الظواهر الكونية كلها تجري وفق ناموس اللّه الذي أودعــه هــذا الكون. ولكن كل ظاهرة وكل حدث في هذا الكون لا يقع بأية حتمية إنما يقع وفق قدر خاص به. بلا تعارض بين ثبات الناموس وجريان المشيئة بقدر خاص لكــل حــدث .. كذلك نحن نعلم علم اليقين أن اللّه سبحانه يجري في حالات معينة أقدارا معينة بأحداث معينة لوجهة معينة. وليس من الضروري أن يكون ذلك الذي دمر قرى لوط زلــزال أو بركان عادي فقد يريد اللّه أن يترل بهم ما يشاء،وقتما يشاء،فيكون ما يشاء،وفق ما يشاء .. وهذا هو المنهج الإيماني في تفسير معجزات الرسل أجمعين ..

وقرى لوط تقع في طريق مطروق بين الحجاز والشام يمر عليها الناس. وفيها عظات لمــن يتفرس ويتأمل،ويجد العبرة في مصارع الغابرين. وإن كانت الآيات لا تنفع إلا القلــوب المؤمنة المتفتحة المستعدة للتلقي والتدبر واليقين : «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهــا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ . إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» ..وهكذا صدق النذير،وكان نزول الملائكــة إيذانا بعذاب اللّه الذي لا يرد ولا يمهل ولا يحيد.[١٣٨]

[١٣٧] - التفسير القرآني للقرآن ــ موافقا للمطبوع - (٧ / ٢٥٤)

[١٣٨] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٤ / ٢١٥٠)

وقد ثبت علمياً أن الرجم يصحب بصوت مدو وأن أشد ما يكون وقع الـــرجم علـــى الأرض حال الشروق لتعامد الأحجار على سطح الأرض حال الشروق، ثم غُرِفت أرض سدوم ورفعت إلى السماء وجعل عاليها سافلها ؛ ومثل هذا يُحْدِث هبوطـــا في ســـطح الأرض جعل هذه المنطقة أخفض منطقة على الأرض. وأصبح مكانها بحيرة لا حياة فيهـــا هي البحر الميت[139].

٥- حمل الملائكة للتابوت في عهد نبي من أنبياء بني إسرائيل :

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَـــثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَـــا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُـــمْ طَـــالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَـــالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَـــنْ يَشَـــاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُـــمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) [البقرة : ٢٤٦-٢٤٨]

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ إنَّ بني إسرائيلَ كَانَوا فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقيمٍ،وَلَبثُوا عَلَى ذَلكَ مُدَّةً منَ الزَّمَن . ثُمَّ تَضعضَعَ أَمْرُهُمْ،وَعَبَدَ بَعْضُهُمُ الأوْثَانَ،وَضَاعَ المُلْكُ منْهُمْ . وَتَســـلَّطَ عَلَيهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ،فَأخْرَجُوهُمْ منْ ديَارِهِمْ بالقَهْرِ،فَأَرْسَلَ اللهُ إليْهِمْ نَبيّاً،وَأمَرَهُ بـــدعْوَتهمْ إلى اللهِ،وَإلى عبَادَة رَبِّهِمْ وَتَوْحيده . فَدَعَاهُمُ النَّبيُّ،فَطَلَبُوا منْهُ أنْ يُقيمَ لَهُمْ مَلكاً يُقَاتلُونَ مَعَهُ أَعْدَاءَهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ نَبيُّهُمْ : لَعَلَّكمْ إنْ أقَامَ اللهُ لكُمْ مَلكاً ألاَّ تُقَاتلُوا فِي ســـبيلِ اللهِ،وَألاَّ تُوفُوا بِمَا التَزَمْتُمْ بِهِ مِنَ القِتَالِ مَعَهُ . فَقَالُوا : كَيْفَ لا نُقَاتِلُ فِي سَبيلِ اللهِ وَقَدْ ضَـــاعَتْ

[139] – البحر الميت يختلف عن سائر البحار فلا يشترك معها في مستوى السطح فهو أخفض منطقة في الأرض، ولا حياة فيه .

بلادُنَا،وَسُبِيَتْ ذَرارينا؟ فَلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ لَمْ يُوفُوا بِمَا وَعَدُوا،وَنَكَلُوا عَنِ الجِهَـــادِ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ النَّاكِلينَ عَنِ الجِهَادِ دِفَاعاً عَنْ دِينِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ .

كَانَ مُلْكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سِبْطِ يَهُوذا وَلَمَّا قَالَ لَهُم النَّبِيُّ إِنَّ المَلِكَ سَيَكُونُ طَالُوتَ،وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ يَهُوذا،احْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ،وَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَينا وَهُوَ لَيْسَ مِـــنْ بَيْتِ المَلِكِ،وَلَيْسَ مِنَ الأغْنِياءِ الذينَ يَسْتَطِيعُونَ تَحَمُّلَ نَفَقَاتِ المُلْكِ؟ فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ : إنَ اللهَ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ،وَاللهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِ،وَزَادَهُ عِلْماً وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ،وَجَعَلَهُ أَصْـــبَرَ مِنْكُمْ عَلَى الحُرُوبِ،وَاللهُ هُوَ الحَاكِمُ الذي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ،وَلا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَلُ،وَهُوَ وَاسِعُ العِلْمِ وَالفُضْلِ،يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ،وَهُوَ عَلِيمٌ بِمنْ يَسْتَحِقُّ المُلْكَ مِمَّنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ .

كَانَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَاةُ وَتَابُوتُ العَهْدِ الذي كَانَ عِنْدَهُمْ مُنْذُ مَطْلِعِ تَارِيخِهِمْ،وَكَانَ يَرِثُهُ خَلَفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ،وَكَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهِ فِي حُرُوبِهِمْ . وَلَمَّا ضَلُّوا وَبَغَـــوْا سَـــلَّط اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ (وَهُمُ العَمَالِيقُ الفِلَسْطِينِيُّونَ)،وَقَدْ حَـــارَبُوا اليَهُـــودَ وَانْتَصَـــرُوا عَلَيهِمْ،فَأَخَذُوا التَّابُوتِ وَنَكَّلُوا بِهِمْ تَنْكِيلا شَدِيداً،فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ عَلامَةَ رِضَا اللهِ عَلَى مُلْكِ طَالُوتَ هُوَ أَنْ يَرُدَّ عَليكُمُ التَّابُوتَ فَيُورِثُكُم رَدُّهُ عَلَيكُم السَّكِينَةِ والطُّمَأنِينَةَ . وَفِـــي التَّابُوتَ التَّوراةُ وَبَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ مُوسَى وَهَارُونُ وَمِنْهَا بَقَايَا الأَلْوَاحِ . فَجَـــاءَتِ المَلائِكَـــةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَي طَالُوتَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ . وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِبنِي إِسْـــرَائِيلَ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ،وَعَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ وُجُوبِ إِطَاعَةِ طَالُوتَ،هَـــذا إِنْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليومِ الآخَرِ .[١٤٠]

٦- بشارة الملائكة لزكريا عليه السلام :

قال تعالى عن النبي زكريا عليه السلام :{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَـــنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّـــا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُـــورًا

[١٤٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٥٣)

وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) {[آل عمران : ٣٧-٤١]

فَتَقَبَّلَهَا رَبُهَا نَذيرَةً مُحَرَّرَةً للْعبَادَة وَخدْمَة بَيْته،وَأَحسَنَ نَشْأَتَهَا وَنَباتَها،وَقَرَنَها بالصَّالحينَ منْ عبَاده،تَتَعَلَّمُ منْهُمُ العلْمَ وَالخَيْرَ وَالدِّينَ .

وَجَعَلَ زَكَريَا كَافلاً لَهَا،إتْماماً لسَعَادَتهَا،لتَقْتَبسَ منْهُ العلْمَ وَالعَمَلَ الصَّالحَ . وَكُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَريّا مَكَانَ مُصلاَّهَا (المحْرَابَ) وَجَدَ عنْدَهَا رزْقاً،فَكَانَ زَكَريّا يَسْأَلُهَا منْ أَيْنَ لَك هَذَا الرِّزْقُ يَا مَرْيَمُ؟ فَتَرُدُّ عَلَيه قَائلَةً إنَّهُ منْ عنْد الله الذي يَرْزُقُ النَّاسَ جَميعاً بتَسْخير بَعْضهمْ لبَعْض وَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقَ مَنْ يَشَاءُ منْ عبَاده رزْقاً كَثيراً بلاَ حُدُود؟

فَلَمَّا رَأى زَكَريَّا منْ كَرَامَات مَرْيَمَ،وَكَانَ قَد اشْتَعَلَ رَأسُهُ شَيْباً،وَأَصْبَحَ شَيْخاً طَاعناً في السِّنِّ،طَمعَ في أنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ صَالحٌ مثْلُهَا هبَةً وَفَضْلاً منْ عنْد الله،وَكَانَت امْرَأَتُهُ عَاقراً،فَسَأَلَ رَبَّهُ وَنَادَاهُ نداءً خَفيّاً،وَقَالَ : يَا رَبِّ هَبْ لي منْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،إنَّكَ تَسْمَعُ دُعَاءَ الصَّالحينَ،وَأنْتَ القَديرُ عَلَى الإجَابَة .

فَخاطَبَتْهُ المَلاَئكَةُ خطَاباً سَمعَهُ،وَهُوَ قَائمٌ يُصَلِّي في محْرَابه،وَمَحلِّ خَلْوَته وَعبَادَته،وَقَالَتْ لَهُ إن اللهَ يُبَشِّرُكَ بولَد يُولَدُ لَكَ اسْمُهُ يَحْيَى،يَكُونُ أوَّلَ مَنْ يُصَدِّقُ بعيسَى الذي خُلقَ بكَلمَة منَ الله،إذْ قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ،وَيَكُونُ حَليماً وَسَيِّداً يَفُوقُ قَوْمَهُ في الشَّرَف وَالعبَادَة وَالعلْم،وَيَكُونُ حَصُوراً يَمْنَعُ نَفْسَهُ منِ اتِّبَاع شَهَواتها،وَيَكُونُ مَعْصُوماً عَنِ الفَوَاحش،وَسَيَكُونُ نَبيّاً منَ الصَّالحينَ حينَمَا يَبْلُغُ سنَّ النُّبُوَّة .

فَلَمَّا تَحَقَّقَ زَكَريَا منَ البشَارَة،أخَذَ يَتَعَجَّبُ منْ ولاَدَة وَلَد لَهُ بَعْدَ الكبَر،فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لي غُلاَمٌ،وَقَدْ كَبرْتُ وامْرأتي عَاقرٌ لاَ تَلدُ،فَرَدَّ عَلَيه المَلَكُ قَائلاً : إنَّ اللهَ يَفْعَل مَا يَشَاءُ وَيُريدُ،لاَ يُعْجزُه شَيْءٌ وَلا يَتَعَاظَمُهُ أَمْرٌ،وَلاَ يَحُولُ دُونَ نَفَاذ مَشيئَته حَائلٌ .

قَالَ زَكَريَّا : رَبِّ اجْعَلْ لي عَلامَةً (آيةً) أَسْتَدلُّ بهَا عَلَى وُجُود الوَلَد منِّي . قَالَ : العَلاَمَةُ عَلَى ذَلكَ هيَ أَنَّكَ لاَ تَسْتَطيعُ النُّطْقَ مَعَ اسْتواء صحَّتكَ مُدَّةَ ثَلاثَة أَيَّامٍ كَاملَةٍ .

ثُمّ أَمَرَهُ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَسْبِيحِهِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ حِينَمَا تَعْــرِضُ لَــهُ هــذِهِ الحَالَةُ[١٤١].

٧- الملائكة وعيسى بن مريم عليه السلام :

ذكر الحق تبارك وتعالى أن الملائكة بشرت أم عيسى به فقال تعالى: { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيــهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّــهِ وَأُنَبِّــئُكُمْ بِمَــا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَــدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِــنْ رَبِّكُــمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)}[آل عمران : ٤٥-٥٠]

وما كنت – يا نبي الله – هناك حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبَشِّرْكِ بولــد يكــون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: "كن"، فيكون، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله يوم القيامة.

ويكلم الناس في المهد بعد ولادته، وكذلك يكلمهم في حال كهولته بما أوحاه الله إليــه. وهذا تكليم النبوَّة والدعوة والإرشاد، وهو معدود من أهل الصلاح والفضــل في قولــه وعمله.

قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: أَنَّى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بَغِيٍّ؟ قال لها المَلَك: هذا الذي يحدث لكِ ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجِد ما يشاء مــن العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: "كُن" فيكون.

[١٤١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٣١)

ويعلمه الكتابة، والسداد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاهـا الله إلى موسـى عليـه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، ويقول لهم: إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدلُّ على أني مرسل من الله، وهي أني أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طـيرًا حقيقيا بإذن الله، وأَشفي مَن وُلد أعمى، ومَن به برص، وأُحيي من كان ميتًا بـإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتدَّخرون في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة الـتي ليست في قدرة البشر لدليلا على أني نبي الله ورسوله، إن كنـتم مصـدِّقين حجـج الله وآياته، مقرِّين بتوحيده.[١٤٢]

وقد ثبت عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِـطًا فَيَكْسِـرَ الصَّلِيبَ،وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ،وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ،وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ »[١٤٣] .

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّـضَ فِيـهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِى طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ « مَا شَـأْنُكُمْ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّـاهُ فِـى طَائِفَـةِ النَّخْلِ. فَقَالَ « غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِى عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَـابٌّ قَطَـطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّى أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُـورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَـاثْبُتُوا ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِى الأَرْضِ قَالَ « أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيـهِ صَلاَةُ يَوْمٍ قَالَ « لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِى الأَرْضِ قَـالَ « كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِى عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَـهُ فَيَـأْمُرُ

---

[١٤٢] -= التفسير الميسر – (١ / ٣٤٤)

[١٤٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٢٢٢) -المقسط : العادل

السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِى الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَىْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِى كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِىَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِى الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّى قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِى لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِى إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِىُّ اللَّهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِىُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِى رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِىُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِى الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِىُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِى ثَمَرَتَكِ وَرُدِّى بَرَكَتَكِ.

فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِى الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِى الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِى الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِى الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ

آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ».[١٤٤]

٨- الملائكة والنبي محمد ﷺ

أ- هيئة النبي ﷺ لاستقبال الوحي :

لقد أوكل الله سبحانه وتعالى بعبده ونبيه محمد ﷺملائكته الكرام وعلى رأسهم جبريل عليه السلام ليحيطوه بالرعاية والعناية والحفظ والتأييد منذ صغره وحتى مفارقته للدنيا وإليك بيان ذلك .

فعندما كان غلاماً يلعب مع الصبيان في بادية بني سعد ،كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَتَاهُ جِبْرِيلُ - ﷺ - وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ. ثُمَّ غَسَلَهُ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِى مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِى ظِئْرَهُ - فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِى صَدْرِهِ.[١٤٥]

---

[١٤٤] - صحيح مسلم- المكتر - (٧٥٦٠)

البخت : واحدها البختية وهى الناقة طويلة العنق ذات السنامين =الحدب : الغليظ من الأرض فى ارتفاع =حرز : ضم =خلة : طريق =الذرى : جمع الذروة وهى أعلى الشىء والمراد السنام =الرسل : اللبن =يرغب : يدعو =الزلفة : المكان يحفر ليحبس فيه ماء السماء وقيل المرآة =الزهم : الريح المنتنة =الزهمة : الريح المنتنة =السارحة : الماشية =اليعاسيب : جمع يعسوب وهو ذكر النحل =عاث : أفسد = الفئام : الجماعة الكثيرة =الفخذ : حى الرجل إذا كان من أقرب عشيرته =الفرسى : جمع الفريس وهم القتلى = القحف : القشر =القطط : شديد جعودة شعر الرأس =يكن : يستر =اللقحة : الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة =الممحل : المجدب المقحط =الْمدر : القرى والأمصار واحدها مدرة =ينسلون : يخرجون مسرعين =النغف : جمع النغفة وهو دود يوجد فى أنوف الإبل والغنم فتموت به فى أقرب وقت =يتهارجون : يجامعون النساء بحضرة الناس =المهرودة : الحلة أو الشقة وقيل الثوب المهرود الذى يصبغ بالورس والزعفران =الوبَر : البيت المتخذ من صوف الإبل والمراد أهل البادية

[١٤٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٣١)

المخيط : الإبرة =الظئر : المرضعة غير ولدها ويقع على الرجل والمرأة =العلقة : الدم الغليظ المنعقد =لأمه : ضم بعضه إلى بعض =المنتقع : المتغير اللون

ولما أراد الله إكرامه بالإسراء والمعراج أجرت الملائكة له عملية أخرى في قلبه لملئه حكمة وإيمانا كما جاء عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُمَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ "[146]

ب- ولاية جبريل والملائكة للرسول ﷺ :

لقد كان لروح القدس جبريل عليه السلام وإخوانه من الملائكة الكرام عناية خاصة وعلاقة حميمة بالرسول محمد ﷺ.قال تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} (٤) سورة التحريم.

وَجَّهَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ خِطَابَهُ الكَرِيمَ إِلَى زَوْجَتَي النَّبِيِّ اللَّتين تَظَاهَرَتَا عَلَيهِ (وَهُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ) فَقَالَ لَهُمَا : إِنْ تَتُوبَا مِنْ ذَنْبِكُمَا،وَتُقْلِعَا عَنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ،تَكُنْ قُلُوبُكُمَا قَدْ مَالَتْ إِلَى الخَيْرِ،وَتَكُونَا قَدْ أَدَّيْتُمَا مَا يَجِبُ عَلَيْكُمَا نَحْوَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إِجْلاَلٍ واحْتِرَامٍ،وَتَكْرِيمٍ لِمَقَامِهِ الكَرِيمِ .[147]

ج- الوحي إليه :

أرسل الله جبريل عليه السلام بالوحي إلى عبده ونبيه محمد ﷺ . قال تعالى :{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)} [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٦]

---

[146] - أخبار مكة للفاكهي - (٢ / ٢٤) (١٠٧١) و صحيح البخارى- المكنز - (٣٤٩) وصحيح مسلم- المكنز - (٤٣٣) مطولا

[147] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١١)

وإنَّ القرآنَ الذيْ تَقَدَّمَ التَّنْويهُ بِهِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ { وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّـــنَ الـــرحمن } أَنْزَلَهُ اللهُ ربُّ العالَمين عليـــكَ يـــا مُحَمَّـــدُ،وأوْحَاهُ إليـــكَ،وَهُوَ ربُّ العَـــالَمين،فَخَبَرُهُ صَادِقٌ،وحُكْمُهُ نَافِذٌ .وهَذا القُرآنُ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى عَلَيكَ يا مُحَمَّدُ،وجَاءَكَ به جِبْرِيلُ عَليهِ السَّلامُ (الرُّوحَ الأمِينُ) .

وهَذا القُرآنُ أَنْزَلَهُ عليكَ يا مُحَمَّدُ،وتَلاهُ عليكَ الرُّوحُ الأمينُ حَتَّى وَعَيْتَهُ بِقَلْبِكَ لِتُنْذِرَ بِهِ قَوْمَكَ .

وقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعالى هَذا القرآنَ عليكَ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصيحٍ واضِحٍ لِيكونَ بَيِّناً واضِـــحاً في دَلالَتِه،قَاطِعاً لِلْعُذْرِ .

وقدْ وردَ ذِكْرُ هذَا القُرآنِ والتَّنْويهُ بِهِ فِي كُتُبِ الأُوَّلِينَ المَأْثُورَةِ عن أَنبيَائِهِم الَّذِينَ بَشَّرُوا بِهِ فِي سَالِفِ الأيامِ،كَمَا أخَذَ اللهُ الميثاقَ عليْهِمْ بأنْ يُؤْمِنُوا بِهِ .[148]

عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ يَرَاهَـــا فِـــي النَّوْمِ،فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ،ثُمَّ حُبِّبَ لَـــهُ الْخَلاَءُ،فَكَـــانَ يَـــأْتِي حِرَاءَ،فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَـــدَّةِ وَيَتَـــزَوَّدُ لِـــذَلِكَ،ثُمَّ يَرْجِـــعُ إِلَـــى خَدِيجَةَ،فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا،حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ،فَجَاءَهُ الْمَلَـــكُ فِيـــهِ فَقَـــالَ : اقْرَأْ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ،قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَـــغَ مِنِّـــي الْجَهْدَ،ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ لِي : اقْرَأْ،فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ،فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَـــغَ مِنِّي الْجَهْدَ،ثُمَّ أَرْسَلَنِي،فَقَالَ : اقْرَأْ،فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ،فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ،ثُمَّ أَرْسَلَنِي،فَقَالَ : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق :] حَتَّى بَلَغَ {مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق :]،قَالَ : فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ،فَقَالَ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي،فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ : يَا خَدِيجَةُ مَا لِي ؟ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ : قَدْ خَشِيتُهُ عَلَيَّ،فَقَالَتْ : كَـــلاَّ أَبْشِـــرْ،فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيـــكَ اللَّـــهُ أَبَـــدًا،إِنَّكَ لَتَصِـــلُ الرَّحِمَ،وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ،وَتَحْمِلُ الْكَلَّ،وَتَقْرِي الضَّيْفَ،وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَـــقِّ. ثُـــمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ،وَكَانَ أَخَا أَبِيهَا،وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّـــرَ فِـــي

---

[148] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٠٠٦)

الْجَاهِلِيَّة،وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ،فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الإِنْجِيلِ مَا شَاءَ أَنْ يَكْتُبَ،وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ،فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : أَيْ عَمِّ،اسْمَعْ مِن ابْنِ أَخِيكَ،فَقَالَ وَرَقَةُ : ابْنَ أَخِي،مَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا رَأَى،فَقَالَ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى،يَا لَيْتَنِي أَكُونُ فِيهَا جَذَعًا،أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ،لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ وَأُوذِيَ،وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ. وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا[١٤٩] حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا لِكَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ،فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ كَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهَا تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ،فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ،إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا،فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ،وَتَقَرُّ نَفْسُهُ،فَيَرْجِعُ،فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ،فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ الْجَبَلِ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ."[١٥٠]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ – ﷺ – وَهْوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْىِ فَقَالَ فِى حَدِيثِهِ « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِى إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِى جَاءَنِى بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِىٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى . فَدَثَّرُونِى فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) [المدثر : ١ – ٥]) – قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاَةُ – وَهْىَ الأَوْثَانُ »[١٥١] .

---

[١٤٩] – قلت : هذا من بلاغات الزهري ولا يصح يعني موضوع الهم بالتردي من الجبل

[١٥٠] – صحيح البخارى- المكنز – (٣) وصحيح ابن حبان – (١ / ٢١٦) (٣٣)

المؤزر : القوى =جذعا : شابا فتيا =يتحنث : يتعبد =الروع : الفزع =زمل : لف وغطى =زمل : لف وغطى =المعدوم : الشىء المعدوم الذى لا يجدونه أو الفقير الذى صار كالمعدوم =فتر : انقطع =تقرى : تكرم الضيف وتقوم بحق ضيافته =تكسب : تعطى المال للفقير =الكل : أصله الثقل ويدخل فى حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال =الناموس : الوحى

[١٥١] – صحيح البخارى- المكنز – (٤٩٢٥) وصحيح مسلم- المكنز – (٤٢٥)

جئثت : فزعت = دثرونى : غطونى بما أستدفئ به =الفترة : الانقطاع

د- كيفية إتيان الملك بالوحي للنبي ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضى الله عنها - أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ - رضـــى الله عنـــه - سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْىُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـــهِ - ﷺ - « أَحْيَانًا يَأْتِينِى مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ - وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَىَّ - فَيُفْصَمُ عَنِّى وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ،وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِى فَأَعِى مَا يَقُولُ » . قَالَـــتْ عَائِشَـــةُ رضى الله عنها وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْىُ فِى الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ،فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا [١٥٢].

د- تعليمه :

لقد كان جبريل عليه السلام يُعِّلمُ النبيَّ ﷺما يحتاج إليه من زيادة وبيان وإيضاح لأمـــور الدين ومن ذلك إمامته له في الصلاة .ففي السنن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَمَّنِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ فَصَلَّى بِىَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَـــتِ الشَّـــمْسُ وَكَانَتْ قَدْرَ الشِّرَاكِ وَصَلَّى بِىَ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ وَصَلَّى بِىَ - يَعْنِى الْمَغْرِبَ - حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ وَصَلَّى بِىَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ وَصَلَّى بِىَ الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ صَلَّى بِىَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ وَصَـــلَّى بِـــىَ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ وَصَلَّى بِىَ الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ وَصَلَّى بِىَ الْعِشَاءَ إِلَـــى ثُلُثِ اللَّيْلِ وَصَلَّى بِىَ الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىَّ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَـــاءِ مِـــنْ قَبْلِكَ وَالْوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ ».[١٥٣]

هـــ- مدارسته القرآن الكريم :

كان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى عليه وسلم القرآن الكريم في رمضان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَجْوَدَ النَّاسِ،وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِى رَمَضَانَ حِينَ

[١٥٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٢) -الصلصلة : صوت الجرس =يتفصد : يسيل =يفصم : يقلع عني

[١٥٣] - سنن أبي داود - المكتر - (٣٩٣) وسنن الترمذى- المكتر - (١٤٩) صحيح

أسفرت : أضاءت =الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها

يَلْقَاهُ جبْرِيلُ،وَكَانَ يَلْقَاهُ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ،فَلَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ[154] .

و- الملائكة تحمي رسول الله ﷺ :

يختصُّ الله تعالى الرسل بمزيد معقباتٍ من الملائكة يحفظوهم ليتمكنوا من أداء رسالاته سبحانه،وهذا عام في جميع الرسل. كما قال تعالى : {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)} [الجن : ٢٦ - ٢٨]

وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذي يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِ خَلْقِهِ فَلَمْ يَرَوْهُ،وَلاَ يُطْلِعُ عَلَى غيبهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ .

إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يُطْلِعَهُ مِنَ الرُّسُلِ،عَلَى مَا شَاءَ مِنَ الغَيْبِ،فَإِنَّهُ يُطْلِعُهُ . وَاللهُ يَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رُسُلِهِ،وَمِنْ خَلْفِهِمْ،حَفَظَةً مِنَ المَلاَئِكَةِ الأَبْرَارِ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ،حَتَّى يُبَلِّغُوا مَا أَوْحَى اللهُ بِهِ إِلَيْهِمْ،كَمَا تَحْفَظُهُمُ المَلاَئِكَةُ مِنْ أَذَى شَيَاطِينِ الإِنْسِ حَتَّى لاَ يُؤْذُوهُمْ،وَلاَ يَضُرُّوهُمْ .

وَاللهُ تَعَالَى يَحْفَظُ رُسُلَهُ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ أَدَاءِ رِسَالاَتِهِ،وَيَحْفَظُوا مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الوَحْيِ لِيَعْلَمَ إِنْ كَانُوا قَدْ بلَّغُوا هَذِهِ الرِّسَالاَتِ؛ وَهُوَ تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ عِلْماً بِمَا عِنْدَ الرَّاصِدِ مِنَ المَلاَئِكَةِ،وَأَحْصَى مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ فَرْداً فَرْداً،فَهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ،لاَ يُشَارِكُهُ فِي عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لاَ المَلاَئِكَةُ وَلاَ غَيْرُهُمْ .[155]

ومن حماية الله لرسوله بالملائكة ما روي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ. فَقَالَ وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِى التُّرَابِ - قَالَ - فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يُصَلِّى زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ - قَالَ - فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِى بِيَدَيْهِ - قَالَ -

---

[154] - صحيح البخارى- المكنز - (٦)

[155] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٥١)

فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « لَوْ دَنَا مِنِّى لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا ». قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لاَ نَدْرِى فِى حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ أَوْ شَىْءٌ بَلَغَهُ (كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) – يَعْنِى أَبَا جَهْلٍ – (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ) "[١٥٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ،فَبِالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ،فَأَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺوَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ. قَالَ : فَمَا فَجَأَهُمْ إِلاَّ أَنَّهُ يَتَّقِي بِيَدِهِ،وَيَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ،فَأَتَوْهُ،فَقَالُوا : مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : إِنَّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. قَالَ أَبُو الْمُعْتَمِرِ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ : {أَرَأَيْتَ الَّذِيَ يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [العلق] إِلَى آخِرِهِ {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} [العلق]،قَالَ قَوْمُهُ : {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} [العلق] قَالَ الْمَلاَئِكَةُ : {لاَ تُطِعْهُ} [العلق]،ثُمَّ أَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ مِنَ السُّجُودِ فِي آخِرِ السُّورَةِ،قَالَ : فَبَلَغَنِي عَنِ الْمُعْتَمِرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ،قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ دَنَا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا.[١٥٧]

وهذا جبريل وميكائيل يقاتلان عنه يوم أحد. فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ – رضى الله عنه – قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَوْمَ أُحُدٍ،وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ،عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ،كَأَشَدِّ الْقِتَالِ،مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ [١٥٨].

وعَنْ سَعْدٍ قَالَ رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ. يَعْنِى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ.[١٥٩]

---

[١٥٦] – صحيح مسلم (٧٢٤٣)

وَلِهَذَا الْحَدِيث أَمْثِلَة كَثِيرَة فِي عِصْمَته ﷺ مِنْ أَبِي جَهْل وَغَيْره ، مِمَّنْ أَرَادَ بِهِ ضَرَرًا ، قَالَ اللَّه تَعَالَى : { وَاَللَّه يَعْصِمك مِنْ النَّاس } وَهَذِهِ الْآيَة نَزَلَتْ بَعْد الْهِجْرَة . وَاَللَّه أَعْلَم "شرح النووي على مسلم – (٩ / ١٧٥)

[١٥٧] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٥٣٢) (٦٥٧١)

[١٥٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٤٠٥٤)

[١٥٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٦١٤٤)

ز- الملائكة تكشف السحر عن النبي ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ،حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا فَعَلَهُ،حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهْوَ عِنْدِى لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ،أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ،أَتَانِى رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى،وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطْبُوبٌ . قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ . قَالَ فِى أَىِّ شَىْءٍ قَالَ فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ،وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ . قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِى بِئْرِ ذَرْوَانَ » . فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ،أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أَسْتَخْرِجُهُ قَالَ « قَدْ عَافَانِى اللَّهُ،فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا » . فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ ..[١٦٠]

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ : سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ : لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ،وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ،ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشَعُرْتِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ،قَدْ جَاءَنِي رَجُلاَنِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَجَلَسَ الآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ،فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ،قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بِئْرِ ذِي ذَرْوَانَ. قَالَ : فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،ثُمَّ جَاءَ،فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ فَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ،وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ

---

[١٦٠] - صحيح البخارى- المكنز - (٥٧٦٣) أطرافه ٣١٧٥ ، ٣٢٦٨ ، ٥٧٦٥ ، ٥٧٦٦ ، ٦٠٦٣ ، ٦٣٩١ تحفة ١٦٧٦٥ ، ١٦٨١٢ ، ١٦٩٢٨ ، ١٧٠٢٢ ، ١٧١٣٤ ، ١٧١٤٥ - ٧/١٧٧ وصحيح مسلم- المكنز - (٥٨٣٢)
الجُب : وعاء طلع النخل =المطبوب : المسحور =المشاطة : ما يسقط من الشعر عند تسريحه =النقاعة : الماء الذى توضع فيه الحناء والمراد أنه متغير اللون

الشَّيَاطِينِ،فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ فَهَلاَّ أَحْرَقْتَهُ أَوْ أَخْرَجْتَهُ ؟. قَالَ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ،وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَيْئًا،فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ : سُحِرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،سَحَرَهُ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ : لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ،حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ،وَلَمْ يَفْعَلْهُ،حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ،قَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشَعُرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ،أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي،وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ فَقَالَ الآخَرُ : مَطْبُوبٌ. فَقَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. قَالَتْ : وَأَتَاهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ،فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ،وَكَأَنَّ رَأْسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ،فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ،أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهَا ؟ قَالَ : قَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ،وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ شَرًّا.(أخرجهما ابن حبان)[١٦١]

ح- نصر الملائكة له في غزواته

فقد نصره الله بالملائكة في غزوة بدر،قال تعالى : {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) } [الأنفال : ٩ - ١٠] .

حِينَمَا التَقَت الفِئَتَانِ،المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ،وَجَدَ المُسْلِمُونَ المُشْرِكِينَ كَثِيرِي العَدَدِ،فَاسْتَغَاثَ الرَّسُولُ بِرَبِّهِ،وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْجِزْنِي وَعْدَكَ الذِي وَعَدْتَنِي . فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ . وَفِيهَا يُعْلِمُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لِدُعَائِهِ وَدُعَاءِ المُسْلِمِينَ،وَأَنَّهُ سَيَمُدُّهُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ يَأْتُونَهُمْ مَدَداً يُرْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،أَيْ يَأْتِي بَعْضُهُمْ إِثْرَ بَعْضٍ .

وَيَذْكُرُ تَعَالَى : أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ إِرْسَالَ المَلاَئِكَةِ لإِمْدَادِ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ إلاَّ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ،وَتَطْمِيناً لِقُلُوبِهِمْ،بِأَنَّهُمْ سَيَنْتَصِرُونَ،وَتَثْبِيتاً لأَقْدَامِهِمْ أَثْنَاءَ القِتَالِ،لأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى

[١٦١] - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٥٤٦)(٦٥٨٣-٦٥٨٤) صحيح

نَصْرِهِمْ بِدُونِ ذَلِكَ،لأنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ،فَهُوَ العَزِيزُ الجَانِبِ،الحَكِيمُ فِي تَـــدْبِيرِهِ [١٦٢].

وأيده بالملائكة في غزوة الأحزاب كما قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَـــا تَعْمَلُـــونَ بَصِيرًا (٩) } [الأحزاب : ٩].

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ،وَبِعَدَمِ الخَوْفِ مِنْ سِوَاهُ،ذَكَّرَ عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمٍ،وَمِنْ تَحْقِيقِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرٍ،وَذَلِكَ حِينَمَـــا جَـــاءَتْهُمْ جُنُـــودُ الأَحْزَابِ،فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيهِمْ رِيحاً كَفَأَتْ قُدُورَهُمْ،واقْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ،وأَرْسَلَ إِليهِمْ مَلائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ - وَهُمْ جُنُودُهُ،وَلَمْ يَرَهُمُ المُسْلِمُونَ - يُوقِعُونَ الخَوْفَ والرُّعْـــبَ والخِـــذْلاَنَ فِي نُفُوسِ المُشْرِكِينَ،فَارْتَحلُوا فِي لِيلةٍ شَـــاتِيةٍ شَـــدِيدَةِ البَرْدِ،وَكَـــانَ اللهُ بَصِـــيراً بِأَعْمَـــالِ المُؤْمِنِينَ،وَصِدْقِ نِيَّاتِهِمْ،فَتَوَلَّى الدفاعَ عَنْهُمْ . [١٦٣]

وأيده كذلك بالملائكة عند ذهابه لغزة بني قريظة،عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِى زُقَاقِ بَنِى غَنْمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّـــهِ - ﷺ - إِلَى بَنِى قُرَيْظَةَ [١٦٤].

وأيده كذلك بالملائكة في غزوة حنين،كما قال تعالى في ذكر غزوة حنين : {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُـــولُ لِصَـــاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَـــةَ الَّـــذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٤٠) سورة التوبة

يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ إِذَا لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ،كَمَا تَـــوَلَّى نَصْرَهُ حِينَ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ حِينَ هَاجَرَ،فَخَرَجَ مِنْهَا هَارِباً بِصُحْبَةِ صَـــدِيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ،فَلَجَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ،وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمَا حَتَّى

[١٦٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٧٠)

[١٦٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٢٣)

[١٦٤] - صحيح البخارى- المكنز - (٤١١٨)

وَقَفُوا بِبَابِ الغَارِ،فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكرٍ جَزِعاً : لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لَرَآنَا . فَقَالَ لَـهُ الرَّسُولُ ﷺ : مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَتَأْيِيـدَهُ وَنَصْـرَهُ عَلَـى رَسُولِهِ،وَأَيَّدَهُ بِالمَلاَئِكَةِ تَحْفَظَهُ وَتَحْمِيهِ (بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا)،وَجَعَلَ كَلِمَةَ الشِّرْكِ وَأَهْلَـهُ السُّفْلَى،وَجَعَلَ كَلِمَةَ الإِيمَانِ (لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ) هِـيَ الْعُلْيَـا،وَاللهُ عَزِيـزٌ فِـي انْتِقَامِـهِ وَانْتِصَارِهِ،وَهُوَ مَنِيعُ الْجَانِبِ لاَ يُضَامُ،وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ .[١٦٥]

ط- رقية جبريل للرسول ﷺ :

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِىَّ - ﷺ - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ فَقَالَ « نَعَمْ ». قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ.[١٦٦]



[١٦٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٧٦)

[١٦٦] - صحيح مسلم- المكنز - (٥٨٢٩)

المبحث الخامس

الملائكة والمؤمنون

للملائكة مع المؤمنين صلةٌ حميمة،يدعون للمؤمنين ويصلون عليهم ويستغفرون لهم ويتولونهم ويبشرونهم عند الممات،وسوف نعرض لطائفة من أعمالهم مع المؤمنين كما جاءت في الكتاب والسنة :

١ – الصلاة على المؤمنين

قال تعالى : {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (٤٣) سورة الأحزاب .

يَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى ذِكْرِ رَبِّهِمْ،وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ تَعَالى يَذْكُرُهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ فِي المَلأ الأَعْلَى مِنْ عِبَادِهِ،وَتَسْتَغْفِرُ لَهُم المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ،وَإِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ تَعَالى،وَهِدَايَتِهِ،وَدُعَاءِ المَلاَئِكَةِ لَهُمْ،أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الكُفْرِ إِلى نُورِ الإِيمَانِ،وَهُو تَعَالى رَحِيمٌ بِالعِبَادِ المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ . أَمَّ رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الدُّنيا فَإِنَّهُ هَدَاهُم إِلى الحَقِّ،وَبَصَّرَهُمْ بِالطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ . وَأَمَّا رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ فإِنَّهُ آمَنَهُمْ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ،وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ بِأَنْ يَتَلَقَّوْهُمْ بِالبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالجَنَّةِ،وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ .[١٦٧]

قال الشوكاني رحمه الله : والصلاة من الله على العباد رحمته لهم،وبركته عليهم، ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار.[١٦٨]

ويذكر الله لعباده دعاء الملائكة المفعم بحب الخير للمؤمنين ،قال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ

---

[١٦٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٤٥٧)

[١٦٨] – فتح القدير – (٦ / ٥٤)

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) }[غافر : ٧-٩]

إنَّ المَلائِكَةَ الذينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ،وَالمَلائِكَةَ الذينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَى،ويَحْمَدُونَهُ عَلَى نعَمِهِ وآلائِهِ،وَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه،وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ للمُسيئِينَ الذين تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيه،وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهمْ منْ فَعْلِ الخَيرِ،وَتَرَكَ المُنْكَرِ،وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ (يَقِي) هَؤُلاَءِ التَّائِبينَ الْمُنِيبِينَ عَذَابَ النَّارِ .

وَتُتَابِعَ المَلائِكَةُ الأَطْهَارُ دُعَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ،فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُم تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُم الجَنَّاتِ التي وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَلْسنَةِ رُسُلِه،وَأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُم الجَنَّاتِ الصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ لِتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ،فَإِن الاجْتِمَاعَ بِالأَهْلِ والعَشِيرَةِ فِي مَوَاضِعِ السُّرُورِ يَكُونَ أَكْمَلَ لِلْبَهْجَةِ والأُنْسِ،فَأَنْتَ يَا رَبّ الغَالِبُ الذي لاَ يُقَاوَمُ،الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَفِعْلِهِ وَتَدْبِيرِه .

وَاصْرِفْ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ (أَو اصْرِفْ عَنْهُمْ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ)،وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ عَاقِبَةَ مَا ارْتَكَبَ مِنْ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَإِنَّكَ تَكُونَ قَدْ رَحِمْتَهُ،وَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ،وَهَذَا هُوَ الفَوْزُ الأَكْبَرُ الذي لاَ يَعْدِلُهُ فَوْزٌ .[١٦٩].

وبينت السنة أن الملائكة تدعوا الله لمن يقومون بالأعمال الآتية :

أ- الذين ينتظرون صلاة الجماعة :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّى عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِى مُصَلاَّهُ الَّذِى صَلَّى فِيهِ،مَا لَمْ يُحْدِثْ،تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ »[١٧٠] . وهذا نصٌّ يبين معنى الصلاة من الملائكة على المؤمنين .

ب- الذين يُصَلُّون في الصف الأول :

[١٦٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠١٩)

[١٧٠] - صحيح البخارى- المكنز - (٤٤٥) أطرافه ١٧٦ ، ٤٧٧ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٩ ، ٢١١٩ ، ٣٢٢٩ ، ٤٧١٧ - تحفة ١٣٨١٦ و صحيح مسلم- المكنز - (١٥٤٠)

عَنِ الْبَرَاءِ،قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا وَصُدُورَنَا وَيَقُولُ : لاَ تَختَلِفُوا فَتَختَلفَ قُلُوبُكُمْ إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْمُقَدَّمَةِ.[171]

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ »[172].

ج- الذين يَصلُون الصفوف :

عَنْ عَائِشَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ.[173]

د- الذين يتسحرون :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ[174].

هـ- الذين يصلُّون على النبي ﷺ :

عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّى عَلَىَّ إِلاَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مَا صَلَّى عَلَىَّ فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ »[175].

و- الذين يعلمون الناس الخير :

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِىِّ قَالَ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِى عَلَى أَدْنَاكُمْ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِى جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ ».[176]

---

[171] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٣٤) (٢١٦١) صحيح

[172] - مسند أحمد - المكنز - (١٩١٢٣) صحيح

[173] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٣٦) (٢١٦٣) صحيح

[174] - صحيح ابن حبان - (٨ / ٢٤٥) (٣٤٦٧) صحيح

[175] - سنن ابن ماجه- المكنز - (٩٦٠) والمسند الجامع - (٨ / ٢٢) (٥٤٩٤) حسن

[176] - سنن الترمذى- المكنز - (٢٩٠١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَمَّارٍ الْحُسَيْنَ بْنَ حُرَيْثٍ الْخُزَاعِىَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ.

ز– الذين ينفقون أموالهم :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ – قَالَ « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا،وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا »[١٧٧] .

ح– الذين يزورون المرضى :

عَنْ عَلِىٍّ قَالَ مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلاَّ خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِىَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِى الْجَنَّةِ.[١٧٨]

وعَنْ أَبِى فَاخِتَةَ قَالَ أَخَذَ عَلِىٌّ بِيَدِى قَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ. فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى فَقَالَ عَلِىٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا فَقَالَ لاَ بَلْ عَائِدًا. فَقَالَ عَلِىٌّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك حَتَّى يُمْسِىَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِى الْجَنَّةِ »[١٧٩].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ عَادَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ اسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ اسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا للعائد فَمَا لِلْمَرِيضِ؟ قَالَ:أَضْعَافُ هَذَا.[١٨٠]

وعَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَلَمَّا ذَهَبَ ذَلِكَ الْيَوْمُ اشْتَكَى حُسَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ عَائِدًا، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب فَقَالَ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَيْنَا ؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ أَعُودُ حُسَيْنًا لِحَقِّهِ وَمَكَانِهِ، قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَظُنُّ فِي نَفْسِكَ لَيْسَ بِمَانِعِي أَنْ

---

[١٧٧] – صحيح البخارى– المكنز – (١٤٤٢) وصحيح مسلم– المكنز – (٢٣٨٣)

[١٧٨] – سنن أبي داود – المكنز – (٣١٠٠) صحيح ومثله لا يقال بالرأي

[١٧٩] – سنن الترمذى– المكنز – (٩٨٥) صحيح لغيره – الخريف : البستان

[١٨٠] – المعجم الكبير للطبراني – (٩ / ٣٩٩) (١١٣١٩) صحيح لغيره

أُحَدِّثَكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ عَادَ مَرِيضًا قَعَدَ فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ مِنْ عِنْدِهِ وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى اللَّيْلِ "[181]

٢- محبتهم لصالح المؤمنين :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ . فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ،فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ »[182]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ - قَالَ - فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّى أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الأَرْضِ ».[183]

٣- تثبيت المؤمنين عند القتال :

قال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (١٢) سورة الأنفال وَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللهُ تَعَالَى لِلمُسْلمينَ لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْها،فَقَدْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى المَلاَئِكَةِ الذِينَ أَرْسَلَهُمْ لِنَصْرِ المُسْلمِينَ،بِأَنْ يُثَبِّتُوا المُسْلمِينَ وَيُقَوُّوا قُلُوبَهُمْ،فَيُلْهِمُوهُمْ تَذَكُّرَ وَعْدِ اللهِ لِرَسُولِهِ بِالنَّصْرِ،وَأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ،وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْعَلُ الرَّعْبَ يَسْتَوْلِي عَلَى قُلوبِ المُشْرِكِينَ فَيُصِيبُهُمُ الفَزَعُ .

---

[181] - شعب الإيمان - (١١ / ٤٠٤) (٨٧٤١) صحيح لغيره

[182] - صحيح البخارى- المكنز - (٣٢٠٩)

[183] - صحيح مسلم- المكنز - (٦٨٧٣)

ثُمَّ أمَر اللهُ المَلاَئكَة بأنْ يَضْرِبُوا رِقَابَ المُشْرِكِينَ وَيَقْطَعُوهَا،وَبِأَنْ يَقْطَعُوا الأَيْدِي ذَاتِ البَنَانِ التِي هِيَ أَدَاةُ الضَّرْبِ فِي الحَرْبِ .[١٨٤]

٤- تأييدهم ونصرهم للمؤمنين :

امتنَّ الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بإرسال جنود من الملائكة للتأييد والنصر للمؤمنين في بدر وأحد وفي أقسى حصار استهدف الوجود الإسلامي كله في المدينة المنورة حيث تحزب الأحزاب وجاءوا بما لا قبل للمسلمين به،فأرسل الله عليهم الريح والملائكة وكفى الله المؤمنين القتال. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) } [الأحزاب : ٩ - ١١]

يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب -وهي غزوة الخندق-، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

اذكروا إذ جاؤوكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب، وإذ شخصت الأبصار من شدة الحَيْرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

في ذلك الموقف العصيب اختُبر إيمان المؤمنين ومُحِّص القوم، وعُرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.[١٨٥]

---

[١٨٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٧٣)

[١٨٥] - التفسير الميسر - (٧ / ٣١٩)

ومن هذا التأييد ما كان لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهو يردُّ على هجاء المشـركين فعَنِ الزُّهْرِىِّ قَالَ أَخْبَرَنِى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِىَّ يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِىَّ - ﷺ - يَقُولُ « يَا حَسَّانُ،أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -،اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَعَمْ[186].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ فِى الْمَسْجِدِ فَلَحَظَ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِى هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « أَجِبْ عَنِّى اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ». قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ.[187]

٥- التأمين على دعائهم :

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : " أَتَى النَّبِيُّ ﷺ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ يَعُودُهُ فَوَافَقَ دُخُولُهُ عَلَيْهِ خُرُوجَ نَفْسِهِ قَالَ : فَقُلْنَ النِّسَاءُ عِنْدَ ذَلِكَ،فَقَالَ : " مَهْ،لَا تَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ،فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُ الْمَيِّتَ " أَوْ قَالَ " أَهْلَ الْمَيِّتِ،فَيُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِمْ فَلَا تَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ "،ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ،وَأَضِئْ لَهُ فِيهِ،وَعَظِّمْ نُورَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ،اللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ،وَاخْلُفْهُ فِي تَرِكَتِهِ فِي الْغَابِرِينَ،وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ " ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ،أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى شُخُوصِ عَيْنَيْهِ[188]"

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ». قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِىَّ - ﷺ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ « قُولِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى وَلَهُ وَأَعْقِبْنِى مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً ». قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِى اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِى مِنْهُ مُحَمَّدًا - ﷺ -.[189]

---

[186] - صحيح البخارى- المكنز - (٤٥٣)

[187] - صحيح مسلم- المكنز - (٦٥٣٩)

[188] - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٣٤٠٩) صحيح لغيره

[189] - صحيح مسلم- المكنز - (٢١٦٨) -أعقب : بدل وعوض

وقد رغب الإسلام في حسن الصلة بين المسلمين ومن ذلك دعاء بعضهم لبعض بظهر الغيب فهو دعاء مستجاب مؤيد بتأمين الملك عليه،ففي الحديث عَنْ أَبِى الزُّبَيْرِ عَنْ صَفْوَانَ – وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ – وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِى مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِىَّ – ﷺ – كَانَ يَقُولُ « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ »[190].

٦- فضل التوافق بين تأمين المؤمنين وحمدهم لله وبين تأمين وحمد الملائكة :

جعل الله سبحانه وتعالى بركة في موافقة عملِ المؤمن عمل الملائكة تقتضي مغفرة ما تقدم من ذنوب المؤمن،لذا ينبغي الحرص على طلب ذلك التوافق .

- ومن ذلك التوافق في التأمين :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ – قَالَ « إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « آمِينَ »[191] .

- ومن ذلك التوافق في الحمد :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ « إِذَا قَالَ الإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ . فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[192] .

٧- تتبعهم حلق الذكر وحفهم أهلها بأجنحتهم :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِى الطُّرُقِ،يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ،فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ .

---

[190] – صحيح مسلم- المكنز – (٧١٠٥)

[191] – صحيح البخارى- المكنز – (٧٨٠) وصحيح مسلم- المكنز – (٩٤٢)

[192] – صحيح البخارى- المكنز – (٧٩٦) وصحيح مسلم- المكنز – (٩٤٠)

قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِى قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ،وَيُكَبِّرُونَكَ،وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ

قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِى قَالَ فَيَقُولُونَ لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ . قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً،وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا،وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا . قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِى قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ . قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا . قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا،وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا،وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً . قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ . قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا . قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا،وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً . قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[193] .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »[194] .

٨- تكريمهم لطالب العلم :

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِى الدَّرْدَاءِ فِى مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّى جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ – ﷺ – لِحَدِيثٍ بَلَغَنِى أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « مَنْ

---

[193] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٤٠٨)

[194] – صحيح مسلم– المكتر – (٧٠٢٨)

سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَــةَ لَتَضَــعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَــنْ فِــى الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْــمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ ».[١٩٥]

٩- كتابة المصلين يوم الجمعة الأول فالأول :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ،وَقَفَتِ الْمَلاَئِكَــةُ عَلَــى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ،وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِى يُهْدِى بَدَنَةً،ثُمَّ كَالَّــذِى يُهْدِى بَقَرَةً،ثُمَّ كَبْشًا،ثُمَّ دَجَاجَةً،ثُمَّ بَيْضَةً،فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ،وَيَسْــتَمِعُونَ الذِّكْرَ » [١٩٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ،وَقَفَتِ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى أَبْــوَابِ الْمَسْجِدِ،فَيَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ،فَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ إِلَى الْجُمُعَةِ،كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَــةً،ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً،ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي كَبْشًا،ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي دَجَاجَةً،ثُمَّ كَالَّذِي يُهْــدِي بَيْضَةً،فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ وَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ،طَوَوْا صُحُفَهُمْ،وَجَلَسُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ.[١٩٧]

١٠- تعاقب الملائكة على المصلين :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْــلِ وَمَلاَئِكَــةٌ بِالنَّهَارِ،وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ،ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَــاتُوا فِيكُمْ،فَيَسْــأَلُهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ »[١٩٨].

١١- الملائكة تبلغ النبي ﷺسلام أمته :

[١٩٥] - سنن أبي داود - المكنز - (٣٦٤٣) صحيح

[١٩٦] - صحيح البخارى- المكنز - (٩٢٩) -المهجر : المبادر إلى الجمعة بعد الصبح

[١٩٧] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٧٢٩) (١٠٥٦٨) ١٠٥٧٥- صحيح

[١٩٨] - صحيح البخارى- المكنز - (٥٥٥) و صحيح مسلم- المكنز - (١٤٦٤)

عَنِ ابْنِ مَسْعُود،قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ لِلَّه مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ.[199]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي وُكِّلَ بِهَا مَلَكٌ يَبْلُغُنِي، وَكُفِي بِهَا أَمْرَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِه، وَكُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِعيًا "[200]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّة مُحَمَّد ﷺ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً إِلَّا وَهِيَ تَبْلُغُهُ يَقُولُ له الْمَلَكُ: فُلَانٌ يُصَلِّي عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا صَلَاةً "[201]

١٢- تبشير المؤمنين وولايتهم لهم :

قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) } [فصلت : ٣٠ - ٣٢]

إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تتترل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.

وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهيه أنفسكم مما تختارونه، وتَقَرُّ به أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافة وإنعامًا لكم من غفور لذنوبكم، رحيم بكم.[202]

قال ابن زيد ومجاهد : تتترل عليهم عند الموت. وقال مقاتل وقتادة : إذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع : البشرى في ثلاثة مواطن : عند الموت وفي القبر وعند البعث .واختار

[199] - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٩٤) (٩١٤) صحيح

[200] - شعب الإيمان - (٣ / ١٤٠) (١٤٨١) صحيح

[201] - شعب الإيمان - (٣ / ١٤١) (١٤٨٢) صحيح لغيره

[202] - التفسير الميسر - (٨ / ٤٠٠)

الإمام الشوكاني رحمه الله عدم تخصيص تنزل الملائكة على المؤمنين بوقت معين وعدم تقييد نفي الخوف والحزن بحالة مخصوصة" [٢٠٣] .

١٣- ولايتهم الخاصة للشهداء :

إن للشهيد منزلةً رفيعة عند الله لذلك خُصَّ بمزيد من ولاية الملائكة لـه،ويظهر هـذا في تظليلهم لعبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنهما،فقد ورد في الصحيح عن مُحَمَّدَ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ جِىءَ بِأَبِى إِلَى النَّبِىِّ - ﷺ - وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ،فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ،فَنَهَانِى قَوْمِى،فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقِيلَ ابْنَةُ عَمْرٍو،أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو . فَقَالَ « لِمَ تَبْكِى أَوْ لاَ تَبْكِى،مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا » [٢٠٤].

وقد عنون له البخاري بقوله:(باب ظل الملائكة على الشهيد).[٢٠٥]

ويظهر أيضاً في غسلهم لبعض الشهداء كما جاء في المعجم الكبير للطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بن الرَّاهِبِ وَهُمَا جُنُبَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تُغَسِّلُهُمَا.[٢٠٦]

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

[٢٠٣] - فتح القدير - (٦ / ٣٥٣)

[٢٠٤] - صحيح البخارى- المكنز - (٢٨١٦)

[٢٠٥] - صحيح البخارى- المكنز - (١٠ / ٢٢٥) ٢٠ - باب ظِلِّ الْمَلاَئِكَةِ عَلَى الشَّهِيدِ .

[٢٠٦] - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٨٤) (١١٩٢٦) صحيح

المبحث السادس

خصوصيات بعض المؤمنين مع الملائكة

١- الملائكة ومريم عليهم السلام :

لقد أكرم الله مريم بنت عمران بأن أرسل لها الملائكة المقربين تخاطبها وتبشرها باصطفاء الله لها وتطهيرها وتفضيلها على نساء العالمين. قال تعالى:{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) } [آل عمران : ٤٢ - ٤٣].

واذكر -أيها الرسول- حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختاركِ لطاعته وطهَّركِ من الأخلاق الرذيلة، واختاركِ على نساء العالمين في زمانك.

يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين؛ شكرًا لله على ما أولاكِ من نعمه.[٢٠٧]

كما بشرتها الملائكة بعيسى ابن مريم ليكون وأمه آية للعالمين. قال تعالى:{ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) } [آل عمران : ٤٥].

وَبَشَّرَت المَلاَئكَةُ مَرْيَمَ،عَلَيهَا السَّلامُ،وَقَالَتْ لَها : إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بأنْ يَكُونَ لَكِ وَلَدٌ عَظيمُ الشَّأنِ،وَيَكُونُ وُجُودُهُ وَخَلْقُهُ بِكَلِمَةٍ منَ اللهِ،فَيَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وَسَيَكُونُ الاسْمُ الذي يَعْرِفُهُ بِهِ المُؤْمِنُونَ (المَسيحُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ)،وَسَيَكُونُ وَجيهاً وَذَا مَكَانَة عِنْدَ اللهِ في الدُّنيا بِمَا يُوحِيه إليه منَ الشَّرِيعَةِ،وَيَكُونُ وَجيهاً في الآخِرةِ بأنْ يَجْعَلَهُ اللهُ شَفِيعاً لِمَنْ يَأذَنُ لَهُ بالشَّفَاعَةِ فيهِمْ .[٢٠٨]

---

[٢٠٧] -التفسير الميسر - (١ / ٣٤١)

[٢٠٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٣٩)

وفي هذا دليل على أنه ليس كل من جاءه ملك يكون نبيا [٢٠٩]. بل هي صديقة كما قال تعالى: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٧٥) سورة المائدة

المَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ،أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ بِالرِّسَالَةِ،وَقَدْ تَقَدَّمَتْهُ رُسُلٌ مِنَ اللهِ،وَلَهُ أُسْوَةٌ بِهِمْ . وَأُمُّهُ مُؤْمِنَةٌ مُصَدِّقَةٌ لَهُ (صِدِّيقَةٌ – وَهَذا أَعْلَى مَقَامَاتِهَا فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّها لَيْسَتْ نَبِيَّةً)،وَكَانَ المَسِيحُ وَأُمُّهُ يَحْتَاجَانِ إلى الطَّعَامِ وَالغِذاءِ،وَمَا يَسْتَتْبِعُ الطَّعَامَ وَالغِذَاءِ،فَهُمَا مَخْلُوقَانِ مِنَ البَشَرِ،وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلهاً خَالِقاً،وَلاَ رَبّاً مَعْبُوداً . فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ نُوَضِّحُ لَهُمُ الآيَاتِ وَنُظْهِرُهَا،ثُمَّ انْظُرْ،بَعْدَ ذَلِكَ التَّوْضِيحِ،أَيْنَ يَذْهَبُونَ،وَبِأَيِّ قَوْلٍ يَتَمَسَّكُونَ،وَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ؟[٢١٠]

وقد قص الله لنا الحوار الذي دار بينها وبين الملك الذي حمل لها البشرى قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) } [مريم : ١٦ - ٢٥]

واذكر يا محمد في القرآن مريم البتول وخبرها الصحيح الذي يتضمن ولادتها لعيسى ابنها عبد اللّه ورسوله إلى بني إسرائيل،ونفى الولد عن اللّه – سبحانه وتعالى – .

---

[٢٠٩] – وكما في قصة الرجل الذي زار أخاً له في الله ففي صحيح مسلم- المكتر - (٦٧١٤) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – « أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ ». -المدرجة : الطريق =ترب : تحفظ وتراعى وتربى

[٢١٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٧٤٥)

نشأت مريم بنت عمران في بيت كريم ونسب شريف،ونشأت عفيفة طاهرة فلما شبت وترعرعت تحت عناية اللّه ورعايته،وبلغت مبلغ النساء كان منها أن انتبذت أهلها،وجلست وحدها في خلوة للعبادة أو لقضاء بعض حاجاها وكان ذلك في مكان جهة الشرق (و من هنا اتخذ المسيحيون قبلتهم ناحية الشرق).

وبينما هي في خلوهّا إذ بجبريل روح القدس يتمثل لها بشرا سويا تام الخلقة مستوى الخلق لم ينقص منه شيء في رجولته.

فلما رأته على هذا الوضع قد اخترق عليها حجاها. ظنت به سوءا أو أنه يريد بها شرا فقالت له إني أعوذ بالرحمن منك وألتجئ إلى اللّه أن يقيني شرك،ما كنت يا هذا رجلا نقيا.

وهذا دليل على عفافها وورعها حيث تعوذت باللّه من تلك الصورة الجميلة الفاتنة وكان تمثيله بتلك الصورة ابتلاء من اللّه لها وسبرا لعفتها. قال جبريل لها : إنما أنا رسول ربك الذي تستعيذين به،جئت لأهب لك غلاما زكيا طاهرا.

قالت مريم : أنى يكون لي غلام ؟ والحال أني لم يمسني بشر في زواج شرعي و لم أك بغيا من البغايا!! وسؤالها هذا لم يكن عن استبعاد لقدرة اللّه،ولكن أرادت متعجبة كيف يكون هذا الولد ؟ هل هو من قبل زوج تتزوجه في المستقبل أم يخلقه اللّه ابتداء ؟

قال الملك : الأمر كذلك (و المشار إليه أنى يكون لي غلام ؟) قال اللّه : هو على هين وقد خلقناه على هذا الوضع لنجعله آية للناس حيث يستدلون بخلقه على كمال القدرة،وتمام العظمة للّه – سبحانه وتعالى – .

وكان رحمة منا للخلق،وهكذا كل نبي يهدى الناس إلى الخير،ويرشدهم إلى الصراط المستقيم،وكان ذلك المذكور أمرا مقضيا ومقدرا من اللّه.

اطمأنت مريم إلى كلامه فدنا منها،ونفخ في جيب درعها أى نفخ في فتحة قميصها من أعلى،ووصلت النفخة إلى بطنها،وتنحت عن أهلها قاصدة مكانا قصيا بعيدا فألجأها المخاض متجهة إلى جذع النخلة لتستتر به،وتعتمد عليه عند الولادة قالت :

يا ليتني مت قبل هذا الحادث،وكنت شيئا منسيا،تراها تمنت الموت خوفا من أن يظن بها السوء في دينها،أو يقع أحد بسببها في البهتان.

فناداها جبريل من تحتها إذا كانت هي على مكان مرتفع وقيل الذي ناداها هو عيسى الوليد،ناداها بألا تحزني ولا تتألمي.

فهذه آية اللّه الدالة على أن الأمر خارق للعادة،وأن للّه في خلقه شؤونا. فها هو ذا قد جعل لك ربك تحتك نهرا يفيض بالماء بعد أن كان جافا،وحركي جذع النخلة اليابسة تتساقط عليك رطبا جنيا شهيا،أليست هذه أمارات الرضا ؟ ودليلا على أن اللّه معك ولن ينساك يا مريم،فكلي من الرطب واشربي من النهر وقرى عينا،واهدئى بالا،واطمأني نفسا فاللّه معك،وحافظك من الناس،فإن رأيت من الناس أحدا فيه أمارة الاعتراض عليك فلا تكلميه،وقولي : إني نذرت للرحمن صوما وسكوتا عن الكلام فلن أكلم اليوم إنسانا بل سألكم الملائكة،وأناجى ربي – سبحانه وتعالى – .[211]

وقال تعالى : {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} (١٢) سورة التحريم.

وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً آخَرَ لِلَّذِينَ آمَنُوا حَالَ مَرْيَمَ ابنة عِمْرَانَ،وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فاصْطَفَاهَا اللهُ رَبُّهَا،وَأَرْسَلَ إليها مَلَكاً كَرِيماً مَنْ مَلاَئِكَتِهِ تَمَثَّلَ لَهَا فِي صَورَةِ بَشَرٍ دَخَلَ عَلَيهَا،وَهِيَ فِي خَلْوَتِهَا،فَاسْتَعَاذَتْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِ،فَبَشَّرَهَا بِأَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا وَلَدٌ يُولَدُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ،وَيَكُونَ نبيّاً كَرِيماً .وَنَفَخَ فِيهَا المَلَكُ مِنْ رُوحِ اللهِ فَحَمَلَتْ بعيسَى،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،وَصَدَّقَتْ مَرْيَمُ بِشَرَائِعِ اللهِ،وَبكُتُبِهِ التِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ،وَكَانَتْ فِي عِدَادِ القَانِتِينَ العَابِدِينَ المُطِيعِينَ للهِ تَعَالَى .[212]

٢– جبريل يحمل البشارة لخديجة رضي الله عنها :

[211] – التفسير الواضح ــ موافقا للمطبوع – (٢ / ٤٤٩) والتفسير الوسيط ــ الزحيلى – (٢ / ١٤٦٩)

[212] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١١٩)

عَنْ عَائشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ،مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – إِيَّاهَا . قَالَتْ وَتَزَوَّجَنِى بَعْدَهَا بِثَلاَثِ سِنِينَ،وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ [213] .

وعَنْ عَائشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ،وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِى بِثَلاَثِ سِنِينَ،لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا،وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ،وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِى فِى خُلَّتِهَا مِنْهَا [214] .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِىَّ – ﷺ – فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ،فَإِذَا هِىَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّى،وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ،لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ .[215]

٣– الملك يقرئ عائشة السلام ويبشر بها النبي ﷺ :

عَنْ عَائشَةَ – رضى الله عنها – أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ – قَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ،هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ » . فَقَالَتْ وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . تَرَى مَا لاَ أَرَى . تُرِيدُ النَّبِىَّ – ﷺ –

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ إِنَّ عَائشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – يَوْمًا « يَا عَائِشَ،هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ » . فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،تَرَى مَا لاَ أَرَى . تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – .[216]

وعَنْ عَائشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « رَأَيْتُكِ فِى الْمَنَامِ يَجِىءُ بِكِ الْمَلَكُ فِى سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقَالَ لِى هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ،فَإِذَا أَنْتِ هِىَ فَقُلْتُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ » [217] .

---

[213] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٨١٧)

[214] – صحيح البخارى– المكنز – (٦٠٠٤) –القصب : لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف

[215] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٨٢٠) –القصب : لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف و صحيح مسلم– المكنز – (٦٤٢٦)

[216] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٧٦٨)

[217] – صحيح البخارى– المكنز – (٥١٢٥) وصحيح مسلم– المكنز – (٦٤٣٦) –السرقة : قطعة من الحرير الجيد

٤- تبشير الملك بسيادة فاطمة على نساء أهل الجنة :

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : سَأَلَتْنِي أُمِّي : مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : مُنْذُ كَذَا وَكَذَا،قَالَ : فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي،قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : دَعِينِي،فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ،ثُمَّ لاَ أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَك،قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ،فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعِشَاءِ،ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ،فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ،ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : حُذَيْفَةُ،قَالَ : مَا لَكَ ؟ فَحَدَّثْتُهُ بِالأَمْرِ،فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلأُمِّكَ،ثُمَّ قَالَ : أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى،قَالَ : فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ،اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ،وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ،وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ رضي الله عنهم.

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ،وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ،ثُمَّ تَبِعْتُهُ وَهُوَ يُرِيدُ يَدْخُلُ بَعْضَ حُجَرِهِ،فَقَامَ وَأَنَا خَلْفَهُ كَأَنَّهُ يُكَلِّمُ أَحَدًا،قَالَ : ثُمَّ قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : حُذَيْفَةُ،قَالَ : أَتَدْرِي مَنْ كَانَ مَعِي ؟ قُلْتُ : لاَ،قَالَ : فَإِنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ يُبَشِّرُنِي أَنَّ الْحَسَنَ،وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،قَالَ : فَقَالَ حُذَيْفَةُ : فَاسْتَغْفِرْ لِي وَلأُمِّي،قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا حُذَيْفَةُ وَلأُمِّكَ.[٢١٨]

٥- جبريل يبشر بسيادة الحسن والحسين على شباب أهل الجنة :

عَنْ حُذَيْفَةَ،قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ،ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ،ثُمَّ خَرَجَ،فَاتَّبَعْتُهُ،فَقَالَ : عَرَضَ لِي مَلَكٌ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ،وَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.[٢١٩]

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ،قَالَ : " إِنَّ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ زَارَنِي،فَاسْتَأْذَنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَتِي،فَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ".[٢٢٠]

---

[٢١٨] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٧١٥)(٢٣٣٢٩) ٢٣٧١٨ و(٢٣٣٣٠) ٢٣٧١٩- صحيح

[٢١٩] - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٤١٣) (٦٩٦٠) صحيح

وعَنْ حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،قَالَ : بِتُّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ عِنْدَهُ شَخْصًا،فَقَالَ لِي : يَا حُذَيْفَةُ هَلْ رَأَيْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ : " هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَهْبِطْ إِلَيَّ مُنْذُ بُعِثْتُ،أَتَانِي اللَّيْلَةَ فَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ".[221]

٦- الملائكة تستمع لقراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه :

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، وَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا هُوَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ الْبَارِحَةَ وَالْفَرَسُ مَرْبُوطَةٌ إِذَا جَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ " قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ قَرِيبًا فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " تَدْرِي مَا ذَلِكَ ؟ " قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ " [222]

٧- الملائكة تشهد جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه :

أكرم الله سبحانه وتعالى سعد بن معاذ رضي الله عنه بخصال منها أنه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « هَذَا الَّذِى تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ ».[223]

---

[220] - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٦٣) (٢٥٣٩) صحيح

[221] - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٦٥) (٢٥٤٣) صحيح

[222] - شعب الإيمان - (٤ / ٢٢١) (٢٤٢٦) وصحيح البخارى- المكتر - (٥٠١٨)

[223] - سنن النسائي- المكتر - (٢٠٦٧) صحيح

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْت سَعْد بْنِ مُعَاذ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك،مَا وَطِئُوا الأَرْضَ قَبْلَهَا " وَقَالَ حِينَ دُفِنَ : سُبْحَانَ اللَّه لَو انْفَلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ لانْفَلَتَ مِنْهَا سَعْدٌ.[224]

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْد، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ، قَالَ لأُمِّ سَعْد بْنِ مُعَاذ وَهِيَ تَبْكِي عَلَيْه: انْظُرِي مَا تَقُولِينَ يَا أُمَّ سَعْد، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " دَعْهَا يَا عُمَرُ، كُلُّ نَائحَة مُكَذَّبَةٌ إِلَّا أُمَّ سَعْد، مَا قَالَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ تَكْذبَ " ثُمَّ احْتُملَ فَوُضِعَ فِي قَبْرِه، فَتَغَيَّرَ لَوْنُ النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ الله، إِنْ كُنْتَ لَتَقْطَعُنَا، يَعْنُونَ فِي السُّرْعَة، قَالَ: " خَشِيتُ أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائكَةُ إِلَى غُسْله كَمَا سَبَقَتْنَا إِلَى غُسْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ " قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، رَأَيْنَا لَوْنَكَ قَدْ تَغَيَّرَ حِينَ قَعَدْتَ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: " ضُمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً، وَلَوْ أُعْفِيَ مِنْهَا أَحَدٌ، أُعْفِيَ مِنْهَا سَعْدٌ " وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " نَزَلَ الْأَرْضَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك لشُهُود سَعْد، مَا نَزَلُوهَا قَطُّ، وَاسْتَبْشَرَ بِه جَمِيعُ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ "، قَالَ صَالحٌ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّد: قَالَ أَبِي: قَالَ رَجُلٌ لسَعْد بْنِ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّ الْعَرْشَ تَدعُوهُ الْعَرَبُ السَّرِيرَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَرِيرَ سَعْد بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا بَلَغَ سَرِيرُ سَعْد بْنِ مُعَاذٍ أَنْ يَذْكُرَهُ رَسُولُ الله ﷺ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيث إِخْبَارُ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ دَفْنِه سَعْدًا بِاهْتِزَازِ الْعَرْشِ لَهُ، فَاحْتُملَ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ الْعَرْشُ هُوَ الْعَرْشُ الَّذي قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَأُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ، وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ هُوَ خلَافَهُ فَقَالَ قَائلٌ: كَيْفَ يَكُونُ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَإِنَّمَا ذَلكَ إِخْبَارٌ عَنْ سَرِيرٍ لَا نَفَسَ لَهُ، وَلَا يَكُونُ منْ مثْله الاهْتزَازُ الَّذي ذَكَرَاهُ عَنْهُ ؟ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلكَ أَنَّ السَّرِيرَ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأُسَيْدٌ، فَإِنَّهُ يَحْتَملُ أَنْ يَكُونَ عَزَّ وَجَلَّ فَهَّمَهُ بَعْدَ أَنْ حُملَ عَلَيْه سَعْدٌ مَكَانَهُ منَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَتَهُ منْهُ، فَصَارَ منْ أَهْلِ الْعلْمِ وَالْمَعْرِفَة بذَلكَ، فَاهْتَزَّ لَهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عُمَرَ وَأُسَيْدٌ منَ اهْتزَازه، كَمَا أَلْهَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَشَبَةَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَتَّخذَ الْمنْبَرَ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمنْبَرَ، وَتَحَوَّلَ إِلَيْه عَنْهَا، كَانَ منْهَا الْحَنِينُ الْمَرْوِيُّ فِي ذَلكَ

[224] - كشف الأستار - (٣ / ٢٥٦) (٢٦٩٨) صحيح

كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَمًا عَظِيمًا مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ، وَفَضْلًا جَلِيلًا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَشَرَفًا كَبِيرًا شَرَّفَهُ بِهِ، وَأَلْهَمَهُ مَنْ أَلْهَمَهُ مِنْ جَلَالَةِ مَوْضِعِهِ مِنْهُ مَا أَلْهَمَهُ إِيَّاهُ مِمَّا ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ[٢٢٥]

٨- تترلهم عندما يقرأ المؤمن القرآن :

ومنهم من يتترل من السماء حين يقرأ القرآن، فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ سُورَةَ الْكَهْفِ وَلَهُ دَابَّةٌ مَرْبُوطَةٌ، فَجَعَلَت الدَّابَّةُ تَنْفِرُ،فَنَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى سَحَابَةٍ قَدْ غَشِيَتْهُ أَوْ ضَبَابَةٍ، فَفَزِعَ، فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: بَيْنَمَا ذَاكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ فَذَكَرَ لَهُ، فَقَالَ: " اقْرَأْ فُلَانُ فَإِنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ عِنْدَ الْقُرْآنِ "[٢٢٦]

وعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدنو، وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: " تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ " [٢٢٧]

وعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، وَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا هُوَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ الْبَارِحَةَ وَالْفَرَسُ مَرْبُوطَةٌ إِذَا جَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ " قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ قَرِيبًا فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " تَدْرِي مَا ذَلِكَ ؟ " قَالَ: لَا يَا

---

[٢٢٥] - شرح مشكل الآثار - (١٠ / ٣٧٠)(٤١٧٤) صحيح

[٢٢٦] - شعب الإيمان - (٤ / ٨٤) (٢٢١٨) وصحيح البخارى- المكتر - (٣٦١٤)

[٢٢٧] - شعب الإيمان - (٤ / ٨٤) (٢٢١٧) وصحيح البخارى- المكتر - (٥٠١١) وصحيح مسلم- المكتر - (١٨٩٢)

وَفِي هَذَا الْحَدِيث جَوَاز رُؤْيَة آحَاد الْأُمَّة الْمَلَائِكَة . وَفِيهِ فَضِيلَة الْقِرَاءَة وَأَنَّهَا سَبَب نُزُول الرَّحْمَة وَحُضُور الْمَلَائِكَة . وَفِيهِ فَضِيلَة اِسْتِمَاع الْقُرْآن .شرح النووي على مسلم - (٣ / ١٤٨)

رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ "[٢٢٨]

وعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: " بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَنَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ يُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هِيَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى ما تُرَى، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " اقْرَأِ ابْنَ الْحُضَيْرِ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " تَدْرِي مَا ذَاكَ ؟ " قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ "[٢٢٩]



[٢٢٨] - شعب الإيمان - (٤ / ٢٢١) (٢٤٢٦) صحيح

[٢٢٩] - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (١ / ٢٥٩) (٨٧٩) صحيح

المبحث السابع

حقوق الملائكة على المؤمنين

واجبات المؤمن نحو الملائكة :

١- الإيمان بهم :

يجب على كل مؤمن الإيمان بالملائكة إجمالاً،وأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ،كما يجب الإيمان بمن ذكر منهم في الكتاب أو السنَّة المطهرة على وجه التفصيل،كجبريل ومكائيل وإسرافيل على جميعهم الصلاة والسلام .

٢- موالاتهم جميعاً :

إنَّ على المؤمن أن يتولَّى جميع الملائكة بدون تفريق بين آحادهم فكلهم مكرمون ومن والى بعضهم وعادى بعضهم فقد عادى الله سبحانه .وقد أنكر الله تعالى على اليهود إعلان عداوتهم لجبريل عندما علموا أنه الذي يترل بالوحي على محمد - صلى الله عليه وآله وسلم،فقال تعالى:{ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) }[البقرة : ٩٧،٩٨]

إنَّ مَنْ عَادَى جبْرِيلَ فَإِنَّ جبْرِيلَ هُوَ الرُّوحُ الأمَينُ الذَي أنْزَلَ القُرآنَ عَلَى قَلبكَ يَا مُحَمَّدُ،بِأمْرِ اللهِ،مُصَدِّقاً لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ المَنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ،وَمِنْهَا التَّوراةُ،وَهُوَ هُدًى لِلْمُؤْمنِينَ وَبُشْرَى لِقُلُوبِهِمْ بِالجَنَّةِ .

أعْلَمَ اللهُ تَعَالَى اليَهُودَ بِأنَّ مَنْ عَادَى اللهَ بِالكُفْرِ بِهِ وَمُخَالَفةِ أوَامِرِه،أوْ عَادَى أحَداً مِنْ مَلاَئِكَتِه،أوْ أحَداً مِنْ رُسُلِهِ أوْ جبْرِيلَ أوْ مِيكَائِيلَ،فَإنَّهُ يَكُونُ عَدُوّاً للهِ،لأنَّهُ يَكُونُ كَافِراً،وَاللهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ،وَمَنْ عَادَاهُ اللهُ خَسِرَ الدُّنيا وَالآخِرَةَ .[٢٣٠]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٢٣٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٠٤)

المبحث الثامن

آداب المؤمنين مع الملائكة

١- الاستحياء منهم :

ينبغي للمسلم أن يستشعر وجود الملائكة معه فيستحي منهم ويكـــرمهم،ومن إكـــرامهم عدم البصاق على الجهة اليمنى في الصلاة لنهي النبي ﷺعن ذلك عَنْ هَمَّامٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ،فَإِنَّمَا يُنَاجِى اللَّهَ مَا دَامَ فِى مُصَلاَّهُ،وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ،فَإِنَّ عَنْ يَمِينِـــهِ مَلَكًا،وَلْيَبْصُـــقْ عَـــنْ يَسَـــارِهِ أَوْ تَحْـــتَ قَدَمِهِ،فَيَدْفِنُهَا »[٢٣١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّـــلاَةِ،فَلاَ يَبْصُـــقْ أَمَامَهُ،لأَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ مَا دَامَ فِي صَلاَتِهِ،وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ،فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا،وَلَكِنْ لِيَبْصُـــقْ عَنْ شِمَالِهِ،أَوْ تَحْتَ رِجْلِهِ،فَيَدْفِنُهُ.[٢٣٢]

٢- ترك ما يؤذيهم :

على المسلم أن يجتنب من الطعام ما له رائحة كريهة مثل الثوم والبصـــل والكُـــرّاث لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ - وَقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَـــلاَ يَقْـــرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ »[٢٣٣].

وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ - نَهَى زَمَنَ خَيْبَرَ عَنِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ فَأَكَلَهُمَا قَوْمٌ ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « أَلَمْ أَنْهَ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الْمُنْتِنَتَيْنِ ». قَالُوا بَلَى يَا

---

[٢٣١] - صحيح البخارى- المكتر - (٤١٦)

[٢٣٢] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٨٣) (١٧٨٣) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ بِأَنَّ عَلَى الْمَأْمُومِ قِرَاءَةُ فَاتِحَـــةِ الْكِتَـــابِ فِـــي صَـــلاَتِهِ ، إِذِ الْمُصْطَفَى ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ ، وَالْمُنَاجَاةُ لاَ تَكُونُ إِلاَّ بِنُطْقِ الْخَطَّابِ دُونَ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالسُّكُوتِ.

[٢٣٣] - صحيح مسلم- المكتر - (١٢٨٢)

رَسُولَ اللَّه وَلَكِنْ أَجْهَدَنَا الْجُوعُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « مَنْ أَكَلَهُمَا فَلاَ يَحْضُرْ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ ».[٢٣٤]

موقف الملائكة من عصاة بني آدم

إن الملائكة الذين لا يعصون الله سبحانه وتعالى ينفرون من العصاة نفرة شديدة ويبتعدون عنهم بل يلعنوهم بسبب ما يقترفون من المعاصي.[٢٣٥]

١– لعنهم كاتم العلم الشرعي :

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) [البقرة : ١٥٩ – ١٦٠] .

يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى باللَّعْنَة الذينَ يَكْتُمُونَ الحَقَّ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ إلى النَّاسِ فِي كُتُبِه مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ،وَالهُدَى النَّافِعِ،وَيَقْصُدُ بِهِمْ أَهْلَ الكِتَابِ،الذينَ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ التي وَرَدَتْ في كُتُبِهِمْ،وَمَا بَشَّرَتْ بِه هذه الكُتُبُ مِنْ قُربِ مَبْعَث نَبِيٍّ عَرَبِيٍّ،يُؤْمِنُ باللهِ،وَيُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنينَ . فَهؤُلاءِ الذينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللهِ وَأَوامِرَهُ عَنِ النَّاسِ لِيُضِلُّوهُمْ،وَيَصْرِفُوهُمْ عَنِ الحَقِّ،فَإِنَّ اللهَ يَلعَنُهُمْ،وَتَلْعَنُهُمُ المَلاَئِكَةُ والمُؤْمِنُونَ (اللاعِنُونَ) . (وحُكْمُ هذه الآيةِ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ كَتَمَ عِلْماً فَرَضَ اللهُ بَيَانَهُ للناسِ،وَلذلكَ قَالَ الأَئِمَّةُ : إِنَّ الذي يَرَى حُرُمَاتِ اللهِ تُنْتَهَكُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ،وَالدِّينَ يُداسُ جَهَاراً بَيْنَ يَدَيهِ،وَالضَّلاَلَ يَغْشَى الهُدَى،ثُمَّ هُوَ لاَ يَنْتَصِرُ لِدِينِ اللهِ يَكُونُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ وَعِيدَ اللهِ) .

---

[٢٣٤] – مسند أحمد – المكنز – (١٥٥٤٩) صحيح

وفي هذه الأحاديث نهي صريح عن الذهاب إلى المسجد لمن أكل من هذه البقول ولكن لا تدل على تحريم أكلها فهي نافعة جداً والنهي للكراهة لا للتحريم على الراجح ويقاس عليها كل ما فيه رائحة سيئة كالدخان وغيره

[٢٣٥] – اختلف العلماء في حكم لعن العاصي المعين على ثلاثة أقوال:– فقيل: لا يجوز بحال ، وقيل : يجوز في حق الكافر دون الفاسق وقيل : يجوز مطلقاً ، قال الحافظ ابن حجر:– والحق أن من منع اللعن أراد به معناه اللغوي ، وهو الإبعاد من الرحمة ، وهذا لا يليق أن يدعى به على مسلم بل يطلب له الهداية والتوبة والرجوع عن المعصية والذي أجازه أراد به معناه العرفي وهو مطلق السب، ولا يخفى أن محله إذا كان بحيث يرتدع العاصي به ويتزجر ، وأما حديث الباب فليس فيه إلا أن الملائكة تفعل ذلك ولايلزم منه جوازه على الإطلاق انظر فتح الباري ١٠/٣٦٩ وللاستزاده انظر موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/٢٣٧ .

وَيَسْتَثْنِي اللهُ تَعَالى مِنَ الَّلعْنَة الذينَ تَابُوا وَأَحْسَنُوا العَمَلَ،وَرَجَعُوا عَنْ كِتْمَان مَـا أَنْـزَلَ اللهُ،وَأَظْهَرُوا للنَّاسِ مَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ الرَّسُـولِ وَالرِّسَـالَةِ،وَيَقُولُ تَعَـالَى إِنَّـهُ يَتَقَبَّـلُ تَوْبَتَهُمْ،وَيَعْفُو عَنْهُمْ،وَيَمْحُو ذُنُوبَهُمْ .[٢٣٦]

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى : ؟...وَيَلْعَنُهُمْ اللَّاعِنُونَ...؟ يعني تلعنهم الملائكـة والمؤمنون[٢٣٧] .

٢– لعنهم الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ – « مَنْ قُتِلَ فِى عِمِّيًّا أَوْ رِمِّيًّا يَكُـونُ بَيْـنَهُمْ بِحَجَرٍ أَوْ بِسَوْطٍ فَعَقْلُهُ عَقْلُ خَطَإٍ وَمَنْ قُتِلَ عَمْدًا فَقَوْدُ يَدَيْهِ فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[٢٣٨] .

٣– لعنهم من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً :

عَنْ عَلِىٍّ – رضى الله عنه – قَالَ مَا كَتَبْنَا عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – إِلاَّ الْقُرْآنَ،وَمَا فِى هَـذِهِ الصَّحِيفَةِ،قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا،فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا،أَوْ آوَى مُحْدِثًا،فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ وَلاَ صَرْفٌ،وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ . فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّـاسِ أَجْمَعِينَ،لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ،وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَـةُ اللَّـهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ »[٢٣٩] .

وعَنْ ثَوْبَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،قَالَ : مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا،أَوْ آوَى مُحْدِثًا أَوِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ،أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ،فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ،وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ،وَلا عَدْلٌ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَيْفَ أَنْتُمْ فِي قَوْمٍ،مَرَجَتْ عُهُـودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ،وَصَـارُوا

---

[٢٣٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٦٦)

[٢٣٧] – تفسير ابن كثير – (٢ / ١٥)

[٢٣٨] – سنن أبي داود – المكنز – (٤٥٩٣) صحيح لغيره

الرميا : من الرمى وهى مبالغة =العقل : الدية =العميا : الأمر الذى لا يستبين وجهه

[٢٣٩] – صحيح البخارى– المكنز – (٣١٧٩) –أخفر : نقض العهد

حُثَالَةً،وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابعه،قَالُوا : كَيْـفَ نَصْـنَعُ ؟ قَـالَ : اصْـبِرُوا،وَخَالِقُوا النَّـاسَ بِأَخْلاقِهِمْ،وَخَالِفُوهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ."[240]

٤- لعنهم من يشير إلى أخيه بحديدة :

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيـهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ »[241].

٥- لعنهم من سب أصحاب الرسول ﷺ :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[242]

٦- الملائكة تلعن المرأة الممتنعة عن فراش زوجها :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ،فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا،لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ »[243] .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ :« إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً لِفِرَاشِ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ أَوْ تُرَاجِعَ »[244].

موقف الملائكة من الكافرين

إن الكفر بالله جريمة كبرى يعادي الملائكة بسببها الكفار بصور متعددة منها :

١) لعنهم :

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (١٦١) سورة البقرة.

---

[240] - كشف الأستار - (٤ / ١١٣) (٣٣٢٤) صحيح

[241] - صحيح مسلم- المكنز - (٦٨٣٢)

[242] - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٢٨٩) (١٢٥٤١) وصحيح الجامع (٦٢٨٥) صحيح لغيره

[243] - صحيح البخارى- المكنز - (٣٢٣٧) وصحيح مسلم- المكنز - (٣٦١٤)

[244] - السنن الكبرى للبيهقي- المكنز - (٧ / ٢٩٢) (١٥١٠٦) وصحيح البخارى- المكنز - (٥١٩٤) وصـحيح مسلم- المكنز -(٣٦١١)

إنَّ الذينَ كَفَروا باللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه،وَكَتَمُوا الحَقَّ وَلَمْ يُظْهِرُوهُ وَمَاتُوا وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ مِنَ الكُفْرِ وَالظُّلْمِ فَإنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ لَعْنَةَ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،وَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَخْلُدُوا فِيهَا أَبَداً .[٢٤٥]

٢) قتالهم للكفار في غزوة بدر :

قال تعالى : {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (١٢) سورة الأنفال

إذ يوحي ربك -أيها النبي- إلى الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين في غزوة "بـــدر" أني معكم أُعينكم وأنصركم، فقوُّوا عزائم الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصَّغَار، فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منـــهم كـــل طرف ومِفْصل.[٢٤٦]

وقد رأى بعض الصحابة رضي الله عنهم آثار عمل الملائكة واشتراكها في القتال فعن ابْنِ عَبَّاسٍ قال :حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِىُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنِى أَبُو زُمَيْـــلٍ - هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِىُّ - حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّـــا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْـــفٌ وَأَصْـــحَابُهُ ثَلاَثُمِائَـــةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِىُّ اللَّهِ - ﷺ - الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْـــلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ ». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَـــنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ) فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ. قَالَ أَبُـــو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِى أَثَرِ رَجُـــلٍ مِـــنَ

---

[٢٤٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٦٨)

[٢٤٦] - التفسير الميسر - (٣ / ١٨٠)

الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الأَنْصَارِىُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – فَقَالَ « صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.[٢٤٧]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ – قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ « هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ – عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ »[٢٤٨] .

٣– إنزال العذاب بالكافرين :

يرسل الله سبحانه وتعالى ملائكته بالعذاب لهلاك من أراد الله إهلاكه على أيديهم من الكافرين كقوم لوط عليه السلام .

٤– الملائكة والمحتضر من الظالمين والكافرين :

أخبر الله سبحانه وتعالى عن سوء خاتمة وعاقبة الكافرين والظالمين والمتقولين على الله بغير الحق،وأن الملائكة تقوم بتبكيتهم وإهانتهم والنيل منهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم عند الاحتضار. قال تعالى : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (٩٣) سورة الأنعام.

وقال تعالى : وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) [الأنفال : ٥٠،٥١] .

وفي حديث البراء رضي الله عنه "... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ،نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ،مَعَهُمُ الْمُسُوحُ،فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ،ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ،حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ،فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ

---

[٢٤٧] – صحيح مسلم– المكنز – (٤٦٨٧)

[٢٤٨] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٩٩٥)

الْخَبِيثَةُ،اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ،فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ،فَيَأْخُذُهَا،فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ،وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ،فَيَصْعَدُونَ بِهَا،فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ،إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا،حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ،فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ،ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : {لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى،فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا . ثُمَّ قَرَأَ : {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ،فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ،أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ،وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ،فَيُجْلِسَانِهِ،فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي،فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي،فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي،فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ،فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ،وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ،فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا،وَسَمُومِهَا،وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ،وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ،قَبِيحُ الثِّيَابِ،مُنْتِنُ الرِّيحِ،فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ،هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ،فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ،فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ،فَيَقُولُ : رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ. ..." الحديث [٢٤٩]



٢٤٩ - مسند أحمد - المكتز - (١٩٠٣٨) صحيح

المبحث التاسع

الملائكة والدار الآخرة

أ- الملائكة وبداية أحداث الساعة :

تنتهي الحياة الدنيا بالنفخة الأولى في الصور حيث يُنفخ فيه بأمر الله أحد الملائكة نفخــةً يصعق بها كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله .ثم تبتدئ حياة الدار الآخرة من إعادة أرواح الكائنات إلى أجسادها بالنفخ في الصور مرة أخرى. قال تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَــإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ } (٦٨) سورة الزمر .

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ هَوْلِ يومِ القِيَامَةِ،وَمَا يَكُونُ فِيــه مِــنَ الأَهْــوَالِ العَظِيمَــةِ،والآيَاتِ والزَّلاَزِلِ،وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الصُّورَ (وَهُوَ قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً) يُنْفَخُ فِيهِ نَفْخَتَانِ : نَفْخَةٌ يَمُوتُ فِيهَا الخَلْقُ وَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ،وَيُصْعَقُونَ إِلاَّ مَــنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْتَثْنِيَهُ مِنَ الصَعَقِ،ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فَيَقُومُ الخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَــاءً يَنْظُرُونَ حَوْلَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا عِظَاماً وَرُفَاتاً .[٢٥٠]

ب- الملائكة تسوق الناس إلى المحشر :

وبعد قيام الناس وخروجهم من قبورهم يوكل الله بكل إنســان ملكين،قــال تعــالى : {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} (٢١) سورة ق.

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ رَبَّها وَمَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُها إليه،وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيها بِمَــا عَمِلَتْ فِي الدُّنيا مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ .[٢٥١]

قال ابن كثير رحمه الله : "أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله وهذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير ..." [٢٥٢].

---

[٢٥٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٠٥)

[٢٥١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٣٠)

[٢٥٢] - تفسير ابن كثير - (٧ / ٤٠١)

ج- تنزل الملائكة يوم القيامة :

إن من الأحداث الجسام ليوم القيامة زوال السماوات وتشققها،ونزول الملائكة إلى عرصات[253] القيامة قال تعالى : {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا} (٢٥) سورة الفرقان

وَاذكُرْ أَيَّهَا الرَّسُولُ لِقَوْمِكَ أهوالَ يوم القِيَامَة،ومَا يَقَعُ فيه منَ الأُمُورِ العظَامِ،إذْ تَتَفَتَّتُ الشُّمُوسُ والكَوَاكِبُ،وَتَنْتَشِرُ في جَوِّ السَّمَاءِ كَالغَمَامِ المُتشَقِّقِ،وَتَنْزِلُ المَلاَئِكَةُ نُزُولاً مُؤَكَّداً بِصَحَائِفِ أعمَالِ العبَادِ،لِتُقَدِّمَ لدى العَرْضِ والحسَابِ،وَتَكُونَ شاهِدَةً عَلَيْهِمْ لدَى الفَصْلِ والقَضَاءِ،وتُحِيطُ بالخَلاَئِقِ في مَقَامِ المَحْشَرِ .[254]

وقد أخبر الله عن الملائكة أنها تكون في أطراف السماء عند تشققها قال تعالى : فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) [الحاقة : ١٣ - ١٨].

فإذا نفخ المَلَك في "القرن" نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورُفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكُسِّرتا، ودُقَّتا دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسُك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام. في ذلك اليوم تُعرضون على الله- أيها الناس- للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم.[255]

---

[253] - عرصات : هي ساحات عرض للخلائق يوم القيامة. قال بن الأثير : العرصات جمع عرصه وهي كل موضع واسع لا بناء فيه/ انظر النهاية في غريب الحديث ٢٠٨/٣ دار احياء التراث العربي .

[254] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٦٢)

[255] - التفسير الميسر - (١٠ / ٢٤٦)

قال ابن كثير رحمه الله : "والملك على أرجائها" الملك اسم جنس : أي الملائكة على أرجاء السماء،قال ابن عباس على ما لَمَّ منها : أي حافاها،وكذا قال سعيد بن جبير والآوزاعي،وقال الضحاك : أطرافها. وقوله تعالى: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة. أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش : العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب"[٢٥٦]

د- مجئ الملائكة صفا صفا :

قال تعالى : كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) [الفجر : ٢١ - ٢٢]

يُخبِرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الأَهْوَالِ العَظِيمَة،وَيَقُولُ مُنْكِراً عَلَى هَؤُلاَءِ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَحِرْصَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا،وَكَأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ قِيَامَةٌ،ولاَ حَشْرٌ،وَلاَ حِسَابٌ،مَعَ أَنَّ اليَوْمَ المَوْعُودَ سَيَأْتِي وَهُوَ اليَوْمُ الذِي تَنْدَكُّ فِيهِ الأَرْضُ دَكّاً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَتُسَوَّى جِبَالُهُا بِأَرْضِهَا .

وَتَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ العَظِيمِ عَظَمَةُ السَّطْوَةِ الإِلهِيَّة . وَيَأْتِي اللهُ تَعَالَى فِي ظُلُلٍ مِنَ الغَمَامِ،كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى تَحُفُّ بِهِ المَلاَئِكَةُ الأَطْهَارُ،وَيَقِفُونَ صُفُوفاً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ الرَّحْمَنِ .[٢٥٧]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفا.[٢٥٨]

الملائكة تجئ بجهنم :

---

[٢٥٦] - تفسير ابن كثير - (٨ / ٢١٢)

[٢٥٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٨٩١) والتفسير الميسر - (١٠ / ٤٧٣) والتفسير المنير ـ موافقا للمطبوع - (٣٠ / ٢٣٨)

[٢٥٨] - تفسير ابن كثير - (٦ / ١٠٥)

قال تعالى : {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} (٢٣) سورة الفجر .

وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ تَنْكَشِفُ جَهَنَّمُ لِلنَّاظِرِينَ،بَعْدَ أَنْ كَانَتْ غَائِبَةً عَنْهُمْ،وَحِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا كَانَ فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللهِ،وَعَرَفَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضَلاَلٍ وَبَاطِلٍ،وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لِهَذِهِ الذِّكْرَى أَنْ تُفِيدَهُ أَوْ تَرْجِعَ عَلَيْهِ بِطَائِلٍ،فَقَدْ فَاتَ الأَوْانُ .[٢٥٩]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،قَالَ : يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ،مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا. [٢٦٠]

هـ- الملائكة تسوق الكافرين إلى جهنم :

قال تعالى : وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) [الزمر : ٧١ - ٧٢].

وَيُسَاقُ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ جَمَاعَات (زُمَراً) سَوْقاً عَنِيفاً بِزَجْرٍ وَتَهْدِيد،وَحِينَمَا يَصِلُونَ إِلَيها،تَفْتَحُ لَهُمْ جَهَنَّمُ أَبْوَابَهَا،وَيَقُولُ لَهُمْ حُرَاسُ جَهَنَّمَ (خَزَنَتُهَا) : أَلَمْ يَأْتِكُم فِي الدُّنْيَا رُسُلٌ مِن جِنْسِكُمْ يُحَذِّرُونَكُمْ مِنَ هَوْلِ هَذَا اليَوْمِ؟ فَيُجِيبُونَ مُعْتَرِفِينَ،وَيَقُولُونَ : نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّهِمْ،وَدَعَوْهُم إِلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ والإِقْلاَعِ عَنِ الكُفْرِ . . وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ،وَخَالَفُوهُمْ،وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ والضَّلاَلَةِ،فَعَدَلُوا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ عَنِ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ فَاسْتَحَقُّوا هَذَا المَصِيرَ .

وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ : ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لِتَبْقَوْا فِيهَا خَالِدِينَ أَبداً،وَبِئْسَتْ جَهَنَّمُ مَصِيراً وَمَقِيلاً لِمَنْ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ فِي الدُّنْيَا بِغَيرِ حَقٍّ،وَيَرْفضُونَ اتِّبَاعَ الحَقِّ،فَبِئْسَ الحَالُ،وَبِئْسَ المَآلُ .[٢٦١]

---

٢٥٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٨٩٣)

٢٦٠ - صحيح مسلم- المكنز - (٧٣٤٣)

٢٦١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٠٨)

قال ابن كثير رحمه الله " يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار؟ وإنما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد، كما قال تعالى: { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا } [الطور:١٣] أي: يدفعون إليها دفعا. هذا وهم عطاش ظماء، كما قال في الآية الأخرى: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا } [مريم:٨٦، ٨٥]. وهم في تلك الحال صُمٌّ وبكم وعمي، منهم من يمشي على وجهه، { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء:٩٧] .

وقوله: { حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا، لتعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية -الذين هم غلاظ الأخلاق، شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل-: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، { يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ } أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، { وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار لهم: { بَلَى } أي: قد جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، { وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } أي: ولكن كذبناهم وخالفناهم، لما سبق إلينا من الشقْوة التي كنا نستحقها حيث عَدَلْنا عن الحق إلى الباطل، كما قال تعالى مخبرا عنهم في الآية الأخرى: { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك:٨-١٠]، أي: رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة { فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك:١١] أي: بعدا لهم وخسارا .

وقوله هاهنا: { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أي: كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به؛ ولهذا قال جل وعلا { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أي: ماكثين فيها لا

خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها، { فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } أي: فبئس المصير وبئس المقيل لكم، بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس المآل "[٢٦٢]

خزنة جهنم وصفتهم :

جعل الله لجهنم خزنة من الملائكة على رأسهم مالك خازن النار عليه السلام ويناديه الكفار وهم يعذبون فيقولون كما حكى الله عنهم : وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) [الزخرف : ٧٧ - ٧٨] .

وَحِينَمَا يَشْتَدُّ العَذَابُ بِالُمجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَضجُّونَ فِي النَّارِ،وَيُنَادُونَ : يَا مَالِكُ (وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ . فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ قَائِلاً لَهُمْ : إِنَّهُمْ مَاكِثُونَ فِي النَّارِ أَبَداً،وَلاَ مَجَالَ وَلاَ سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا .

وَيُذَكِّرُهُمْ اللهُ تَعَالَى - أَوْ يُذَكِّرُهُمْ مَالِكٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ الكَرِيمِ - بِسَبَبِ شَقَائِهِمْ،وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَانَ أَرْسَلَ إِلَيهِم الرُّسُلَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الحَقِّ والهُدَى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ،وَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوْا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ .[٢٦٣]

ويخاطب الكفار كذلك خزنة النار فيقولون كما حكى الله عنهم : وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر : ٤٩-٥٠].

وَلَمَّا يَئِسَ الُمسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ،وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ،شَيْئاً مِنَ العَذَابِ عَنْهُمْ،اتَّجَهُوا إِلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمْ الاتِّجَاهَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنَ العَذَابِ فِي النَّارِ .

---

[٢٦٢] - تفسير ابن كثير - (٧ / ١١٨)

[٢٦٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٢٨١)

وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ يُقَرِّعُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا،وَيَقُولُونَ لَهُمْ : أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُ رَبِّكُمْ بِالحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيهِ؟ وَيَقُولُ المُسْتَضْعَفُونَ : نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُ اللهِ بِالحُجَجِ والبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ،وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ : إِذاً فَادْعُوا أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ . وَلكِنَّ دُعَاءَ الكَافِرِينَ لاَ يُفِيدُ،وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُ،وَيَذْهَبُ سُدًى .[٢٦٤]

وقال تعالى : {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ } (٣٠) سورة المدثر

قال الشوكاني : قال المفسرون : يقول : على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، وقيل : تسعة عشر صنفاً من أصناف الملائكة،وقيل تسعة عشر صفاً من صفوفهم،وقيل تسعة عشر نقيباً مع كل نقيب جماعة من الملائكة،والأول أولى.[٢٦٥]

وقد وصفهم الله سبحانه بقوله : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه،اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى،وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ،وَأمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ والتَّقْوَى،وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيهِمْ،وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ،وَأمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ لِتُنقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ،التي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الكَفَرَةِ،وَالحِجَارَةُ،وَتَقُومُ عَلَيهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ،أَشِدَّاءُ عَلَيهِمْ،لاَ يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ،وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .[٢٦٦]

الملائكة تسوق المؤمنين إلى الجنة وفدا :

[٢٦٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٦١)

[٢٦٥] - فتح القدير - (٧ / ٣٥١)

[٢٦٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١٣)

قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} (٨٥) سورة مريم.وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَحْشُرُ اللهُ تَعَالَى المُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ،وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ،وَصَدَّقُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ،إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ،كَمَا يُكْرَمُ الوُفُودُ القَادِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ المُلُوكِ .[٢٦٧]

وقال تعالى : {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٧٣) سورة الزمر .

وَيُوجِّهُ المُتَّقُونَ إِلَى الجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ إِثْرَ جَمَاعَاتٍ : المُقَرَّبُونَ،ثُمَّ الأَبْرَارُ،ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ . . فَإِذَا وَصَلُوا الجَنَّةَ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُهَا لاسْتِقْبَالِهِمْ،وَيَسْتَقْبِلُهُمْ حُرَّاسُهَا (خَزَنَتُهَا) بالتَّحِيَةِ وَالسَّلاَمِ،وَيَقُولُونَ لَهُمْ : طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ،وَطَابَ سَعْيُكُمْ وَجَزَاؤُكُمْ،فَادْخُلُوا الجَنَّةَ لِتَمْكُثُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً .[٢٦٨]

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : "أي ساقتهم الملائكة سوق إعزاز وتشريف وتكريم".[٢٦٩]

خزنة الجنة :

جعل الله سبحانه وتعالى للجنة خزنة يقومون على تدبير أمرها،ويفتح له الباب خازنها وأول داخل هو رسول الله ﷺكما جاء في عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ ».[٢٧٠]

استقبال خزنة الجنة للمؤمنين :

يكرم الله أهل جنة عند دخولهم بأن تتلقاهم خزنة الجنة بالتهنئة والبشرى،والترحاب .

قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٧٣) سورة الزمر.

الملائكة يدخلون على أهل الجنة :

---

[٢٦٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٣٣٥)

[٢٦٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٠١٠)

[٢٦٩] – فتح القدير – (٦ / ٣٠٧)

[٢٧٠] – صحيح مسلم– المكنز – (٥٠٧)

ومما يكرم الله به أهل الجنة دخول الملائكة عليهم من كل باب مسلمين ومهنئين لهم على ما نالوه من النعيم المقيم جزاء صبرهم وجهادهم. قال تعالى : أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد : ٢٢ - ٢٤] .

وَتِلْكَ العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ هِيَ دُخُولُ جَنَاتِ عَدْنٍ،وَالإِقَامَةُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبداً،لاَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا . وَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ مِنَ الآبَاءِ وَالأَزْوَاجِ وَالأَبْنَاءِ الصَّالِحِينَ لِدُخُولِ الجَنَّة،لِتَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ؛ وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسْلِمِينَ مُهَنِّئِينَ بِدُخُولِ الجَنَّة،وَبِرِضْوَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ . وَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةُ : سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ،وَأَمْنٌ دَائِمٌ لَكُمْ،لَقَدْ صَبَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَاحْتَمَلْتُمُ المَشَاقَّ وَالآلاَمَ،فَفُزْتُمْ بِرِضْوَانِ اللهِ،فَنَعِمَتْ عَاقِبَتُكُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ .[٢٧١]



[٢٧١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٧٣١)

المبحث العاشر

تفضيل الملائكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.[٢٧٢]

قال النووي رحمه الله : " قَوْله تَعَالَى : { وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْته فِي مَلَإٍ خَيْر مِنْهُمْ } هَذَا مِمَّا اسْتَدَلَّتْ بِهِ الْمُعْتَزِلَة وَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى تَفْضِيل الْمَلَائِكَة عَلَى الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : {{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (٧٠) سورة الإسراء، فَالتَّقْيِيد بِالْكَثِيرِ احْتِرَاز مِنَ الْمَلَائِكَة ، وَمَذْهَب أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاء أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَة لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي بَنِي إِسْرَائِيل : {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (١٦) سورة الجاثية،

---

[٢٧٢] - صحيح ابن حبان - (٣ / ٩٣) (٨١١) وصحيح البخارى- المكنز - (٧٤٠٥) وصحيح مسلم- المكنز - (٦٩٨١)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلاَ : إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، يُرِيدُ بِهِ : إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ بِالدَّوَامِ عَلَى الْمَعْرِفَةِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُ ، وَجَعَلْتُهُ أَهْلاً لَهَا. ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، يُرِيدُ بِهِ : فِي مَلَكُوتِي بِقَبُولِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ مِنْهُ مَعَ غُفْرَانِ مَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الذُّنُوبِ. ثُمَّ ، قَالَ : وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ، يُرِيدُ بِهِ : وَإِنْ ذَكَرَنِي بِلِسَانِهِ ، يُرِيدُ بِهِ الإِقْرَارَ الَّذِي هُوَ عَلاَمَةُ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ لِيَعْلَمُوا إِسْلاَمَهُ. ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ،

وقال النووي : "قَوْله تَعَالَى : { وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْت إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْت مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْته هَرْوَلَة } هَذَا الْحَدِيث مِنْ أَحَادِيث الصِّفَات ، وَيَسْتَحِيل إِرَادَة ظَاهِره ، وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَام فِي أَحَادِيث الصِّفَات مَرَّات ، وَمَعْنَاهُ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي تَقَرَّبْت إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَالتَّوْفِيق وَالْإِعَانَة ، وَإِنْ زَادَ زِدْتُ ، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْته هَرْوَلَة ، أَيْ صَبَبْت عَلَيْهِ الرَّحْمَة وَسَبَقْته بِهَا ، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْي الْكَثِير فِي الْوُصُول إِلَى الْمَقْصُود ، وَالْمُرَاد أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُون تَضْعِيفه عَلَى حَسَب تَقَرُّبه .

وَالْمَلَائِكَة مِنَ الْعَالَمِينَ . وَيُتَأَوَّل هَذَا الْحَدِيث عَلَى أَنَّ الذَّاكِرِينَ غَالِبًا يَكُونُونَ طَائِفَة لَـا نَبِيّ فِيهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرَهُ اللَّه فِي خَلَائِق مِنَ الْمَلَائِكَة ، كَانُوا خَيْرًا مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَة ."[٢٧٣]

وقال العيني : " بل الجمهور على تفضيل البشر وفيه الخلاف المشهور بين أهـل السـنة والمعتزلة وأصحابنا الحنفية فصَّلوا في هذا تفصيلا حسنا وهو أن خواص بني آدم أفضل من خواص الملائكة وعوام بني آدم أفضل من عوامهم ،وخواص الملائكة أفضل من عوام بـني آدم ،واستدلالهم بهذا الحديث على تفضيل الملائكة على بني آدم لا يتمُّ، لأنه يحتمـل أن يراد بالملأ الخير الأنبياء أو أهل الفراديس.." [٢٧٤]

وقال الحافظ ابن حجر : " (ذَكَرْته فِي مَلَأ خَيْر مِنْهُمْ) قَالَ بَعْض أَهْل الْعِلْم : يُسْـتَفَاد مِنْهُ أَنَّ الذِّكْر الْخَفِيّ أَفْضَل مِنَ الذِّكْر الْجَهْرِيّ وَالتَّقْدِير : إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسه ذَكَرْتـه بِثَوَاب لَا أُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا وَإِنْ ذَكَرَنِي جَهْرًا ذَكَرْته بِثَوَابٍ أُطْلِع عَلَيْهِ الْمَلَأ الْأَعْلَى.

وَقَالَ ابْن بَطَّال : هَذَا نَصّ فِي أَنَّ الْمَلَائِكَة أَفْضَلُ مِنْ بَنِي آدَم وَهُوَ مَذْهَب جُمْهُور أَهْل الْعِلْم، وَعَلَى ذَلِكَ شَوَاهِد مِنَ الْقُرْآن مِثْل: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَـا مَلَكَـيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} (٢٠) سورة الأعراف، وَالْخَالِد أَفْضَل مِنَ الْفَانِي فَالْمَلَائِكَة أَفْضَـل مِنْ بَنِي آدَم".

وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ الْمَعْرُوف عَنْ جُمْهُور أَهْل السُّنَّة أَنَّ صَالِحِي بَنِي آدَم أَفْضَـلُ مِـنْ سَـائِر الْأَجْنَاس ،وَالَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى تَفْضِيل الْمَلَائِكَة الْفَلَاسِفَة ثُمَّ الْمُعْتَزِلَة وَقَلِيلٌ مِنْ أَهْل السُّنَّة مِنْ أَهْل التَّصَوُّف وَبَعْض أَهْل الظَّاهِر ،فَمِنْهُمْ مَنْ فَاضَلَ بَيْن الْجِنْسَيْنِ، فَقَالُوا :حَقِيقَة الْمَلَك أَفْضَل مِنْ حَقِيقَة الْإِنْسَان ؛ لِأَنَّهَا نُورَانِيَّة وَخَيِّرَة وَلَطِيفَة مَعَ سَعَة الْعِلْم وَالْقُـوَّة وَصَـفَاء الْجَوْهَر، وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِم تَفْضِيل كُلّ فَرْد عَلَى كُلّ فَرْد لِجَوَازِ أَنْ يَكُون فِي بَعْض الْأَنَاسِيّ مَا فِي ذَلِكَ وَزِيَادَة ،وَمِنْهُمْ مَنْ خَصَّ الْخِلَاف بِصَالِحِي الْبَشَر وَالْمَلَائِكَة، وَمِـنْهُمْ مَـنْ خَصَّهُ بِالْأَنْبِيَاءِ ،ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الْمَلَائِكَة عَلَى غَيْر الْأَنْبِيَاء، وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَـلَّهُمْ عَلَـى

[٢٧٣] -شرح النووي على مسلم - (٩ / ٣٥)

[٢٧٤] -عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٢٦ / ٣٥)

الْأَنْبيَاء أَيْضًا إِلَّا عَلَى نَبيّنَا مُحَمَّد ﷺ ، وَمِنْ أَدِلَّة تَفْضِيل النَّبيّ عَلَى الْمَلَك أَنَّ اللَّــه أَمَــرَ الْمَلَائكَة بالسُّجُود لآدَم عَلَى سَبيل التَّكْريم لَهُ حَتَّى قَالَ إبْليس {قَالَ أَرَأَيْتكَ هَذَا الَّــذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقيَامَة لأَحْتَنكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَليلاً} (٦٢) سورة الإسراء، وَمنْهَا قَوْله تَعَالَى : {قَالَ يَا إِبْليسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لمَا خَلَقْتُ بيَدَيَّ أَسْــتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ منَ الْعَالينَ} (٧٥) سورة ص، لمَا فيه منَ الْإشَارَة إِلَى الْعنَايَة به ،وَلَمْ يَثْبُت ذَلــكَ للْمَلَائكَة ، وَمنْهَا قَوْله تَعَالَى: {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهيمَ وَآلَ عمْرَانَ عَلَى الْعَالَمينَ} (٣٣) سورة آل عمران، وَمنْهَا قَوْله تَعَالَى {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا في السَّمَاوَات وَمَا في الْأَرْض جَميعًا مِّنْهُ إِنَّ في ذَلكَ لَآيَات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (١٣) سورة الجاثية، فَدَخَلَ في عُمُومه الْمَلَائكَة ، وَالْمُسَخَّرُ لَهُ أَفْضَل منَ الْمُسَخَّر ؛ وَلأَنَّ طَاعَة الْمَلَائكَة بأَصْل الْخلْقَــة وَطَاعَة الْبَشَر غَالبًا مَعَ الْمُجَاهَدَة للنَّفْس لمَا طُبعَتْ عَلَيْه منَ الشَّهْوَة وَالْحرْص وَالْهَــوَى وَالْغَضَب ، فَكَانَتْ عبَادَهَمْ أَشَقّ ، وَأَيْضًا فَطَاعَةُ الْمَلَائكَة بالْأَمْر الْوَارد عَلَــيْهمْ وَطَاعَــة الْبَشَر بالنَّصِّ تَارَة وَبالاجْتهَاد تَارَة وَالاسْتنْبَاط تَارَة فَكَانَتْ أَشَقّ ؛ وَلأَنَّ الْمَلَائكَة سَــلمَتْ منْ وَسْوَسَة الشَّيَاطين وَإلْقَاء الشُّبَه وَالْإغْوَاء الْجَائزَة عَلَى الْبَشَر ،وَلأَنَّ الْمَلَائكَــة تُشَــاهدُ حَقَائق الْمَلَكُوت وَالْبَشَرَ لَا يَعْرفُونَ ذَلكَ إلَّا بالْإعْلَام ،فَلَا يَسْلَم منْهُمْ منْ إدْخَال الشُّــبْهَة منْ جهَة تَدْبير الْكَوَاكب وَحَرَكَة الْأَفْلَاك إلَّا الثَّابت عَلَى دينه ،وَلَا يَتمّ ذَلكَ إلَّــا بمَشَــقَّة شَديدَة وَمُجَاهَدَات كَثيرَة ، وَأَمَّا أَدلَّةُ الْآخَرينَ فَقَدْ قيلَ : إنَّ حَديث الْبَاب أَقْــوَى مَــا اسْتُدلَّ به لذَلكَ للتَّصْريح بقَوْله فيه في مَلَأ خَيْر منْهُمْ ،وَالْمُرَاد بهمُ الْمَلَائكَة ، حَتَّى قَــالَ بَعْض الْغُلَاة في ذَلكَ : وَكَمْ منْ ذَاكر للَّه في مَلَأ فيهمْ مُحَمَّد ﷺ ذَكَرَهُمْ اللَّه في مَلَــأ خَيْر منْهُمْ ، وَأَجَابَ بَعْض أَهْل السُّنَّة بأَنَّ الْخَبَر الْمَذْكُور لَيْسَ نَصًّا وَلَا صَريحًا في الْمُرَاد ،بَلْ يَطْرُقهُ احْتمَال أَنْ يَكُون الْمُرَاد بالْمَلَأ الَّذينَ هُمْ خَيْر مــنَ الْمَلَــأ الــذَّاكر الْأَنْبيَــاء وَالشُّهَدَاء، فَإنَّهُمْ أَحْيَاء عنْد رَبّهمْ فَلَمْ يَنْحَصر ذَلكَ في الْمَلَائكَة ، وَأَجَابَ آخَــر وَهُــوَ أَقْوَى منَ الْأَوَّل بأَنَّ الْخَيْريَّة إنَّمَا حَصَلَتْ بالذَّاكر وَالْمَلَأ مَعًا ،فَالْجَانب الَّــذي فيــه رَبّ الْعزَّة خَيْر منَ الْجَانب الَّذي لَيْسَ هُوَ فيه بلَا ارْتيَاب، فَالْخَيْريَّة حَصَلَتْ بالنِّسْبَة للْمَجْمُوع عَلَى الْمَجْمُوع ،وَهَذَا الْجَوَاب ظَهَرَ لي وَظَنَنْت أَنَّهُ مُبْتَكَر . ثُمَّ رَأَيْته في كَلَام الْقَاضــي

كَمَال الدِّين بْن الزَّمَلْكَانِيّ فِي الْجُزْء الَّذِي جَمَعَهُ فِي الرَّفِيق الْأَعْلَى فَقَالَ : إِنَّ اللَّه قَابَـــلَ ذِكْر الْعَبْد فِي نَفْسه بِذِكْرِهِ لَهُ فِي نَفْسه ، وَقَابَلَ ذِكْر الْعَبْد فِي الْمَلَأ بِذِكْرِهِ لَهُ فِي الْمَلَـــأ فَإِنَّمَا صَارَ الذِّكْر فِي الْمَلَإِ الثَّانِي خَيْرًا مِنَ الذِّكْر فِي الْأَوَّل ؛ لِأَنَّ اللَّه وَهُوَ الذَّاكِر فِـــيهِمْ وَالْمَلَأ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ وَاَللَّه فِيهِمْ أَفْضَل مِنَ الْمَلَإِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ وَلَيْسَ اللَّه فِيهِمْ ، وَمِـــنْ أَدِلَّة الْمُعْتَزِلَة تَقْدِيم الْمَلَائِكَة فِي الذِّكْر فِي قَوْله تَعَالَى {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّـــهِ وَمَلآئِكَتِـــهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} (٩٨) سورة البقرة، {شَهِدَ اللّهُ أَنَّـــهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيـــزُ الْحَكِـــيمُ} (١٨) سورة آل عمران، {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَـــمِيعٌ بَصِـــيرٌ} (٧٥) سورة الحـــج، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ مُجَرَّد التَّقْدِيم فِي الذِّكْر لَا يَسْتَلْزِم التَّفْضِيل ؛ لِأَنَّهُ لَـــمْ يَنْحَصِر فِيهِ بَلْ لَهُ أَسْبَاب أُخْرَى كَالتَّقْدِيمِ بِالزَّمَانِ فِي مِثْل قَوْله {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِـــيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} (٧) سورة الأحزاب، فَقَدَّمَ نُوحًا عَلَى إِبْرَاهِيم لِتَقَدُّمِ زَمَان نُوح مَعَ أَنَّ إِبْـــرَاهِيم أَفْضَـــل ،وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا} (١٧٢) سورة النســـاء، وَبَـــالَغَ الزَّمَخْشَرِيّ فَادَّعَى أَنَّ دَلَالَتهَا لِهَذَا الْمَطْلُوب قَطْعِيَّة بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ الْمَعَانِي ،فَقَالَ فِي قَوْلـــه تَعَالَى : (وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) أَيْ وَلَا مَنْ هُوَ أَعْلَى قَدْرًا مِنَ الْمَسِيح ، وَهُمُ الْمَلَائِكَة الْكَرُوبِيُّونَ[٢٧٥] الَّذِينَ حَوْل الْعَرْش ، كَجِبْرِيل وَمِيكَائِيل وَإِسْرَافِيل ، قَالَ : وَلَا يَقْتَضِي عِلْم الْمَعَانِي غَيْر هَذَا مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْكَلَام إِنَّمَا سِيقَ لِلرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى لِغُلُوِّهِمْ فِي الْمَسِيح ، فَقِيلَ لَهُمْ : لَنْ يَتَرَفَّع فِيهِ الْمَسِيح عَنِ الْعُبُودِيَّة وَلَا مَنْ هُوَ أَرْفَع دَرَجَة مِنْهُ انْتَهَى مُلَخَّصًا ، وَأُجِيبَ بِأَنَّ التَّرَقِّي لَا يَسْتَلْزِم التَّفْضِيل الْمُتَنَازَع فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الْمَقَام ، وَذَلِكَ أَنَّ

---

[٢٧٥] - الكروبيون فإنه يراد بهم الملائكة المقربون الذين هم حول العرش كما قال -سبحانه وتعالى-:"الـــذين يحملـــون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به" [غافر: ٧]، ولا أعرف لهم ذكراً بهذا اللفظ إلا في حديث الصـــور الطويل، وهو حديث لم يثبت بطوله،فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (٢ / ٢٧٥) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ٣٥١١) -رقم الفتوى ٧٥٦٤ الملائكة الكروبيون

كُلًّا مِنَ الْمَلَائِكَة وَالْمَسِيح عُبِدَ مِنْ دُون اللَّه ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْمَسِيح الَّذِي تُشَاهِدُونَهُ لَمْ يَتَكَبَّر عَنْ عِبَادَة اللَّه ، وَكَذَلِكَ مَنْ غَابَ عَنْكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَة لَا يَتَكَبَّر ، وَالنُّفُوس لِمَا غَابَ عَنْهَا أَهَيْب مِمَّنْ تُشَاهِدهُ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَات الَّتِي عَبَدُوا الْمَسِيح لِأَجْلِهَا مِنَ الزُّهْد فِي الدُّنْيَا وَالِاطِّلَاع عَلَى الْمُغَيَّبَات وَإِحْيَاء الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه مَوْجُودَة فِي الْمَلَائِكَة ، فَإِنْ كَانَتْ تُوجِب عِبَادَته فَهِيَ مُوجِبَة لِعِبَادَتِهِمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ عِبَادَة اللَّه تَعَالَى ، وَلَا يَلْزَم مِنْ هَذَا التَّرَقِّي ثُبُوت الْأَفْضَلِيَّة الْمُتَنَازَع فِيهَا .

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيّ : احْتَجَّ بِهَذَا الْعَطْف مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَة أَفْضَل مِنَ الْأَنْبِيَاء ، وَقَالَ هِيَ مُسَاقَة لِلرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى فِي رَفْع الْمَسِيح عَنْ مَقَام الْعُبُودِيَّة ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُون الْمَعْطُوف عَلَيْهِ أَعْلَى دَرَجَة مِنْهُ حَتَّى يَكُون عَدَم اسْتِنْكَافِهِمْ كَالدَّلِيلِ عَلَى عَدَم اسْتِنْكَافه ، وَجَوَابه أَنَّ الْآيَة سِيقَتْ لِلرَّدِّ عَلَى عَبَدَة الْمَسِيح وَالْمَلَائِكَة ، فَأُرِيد بِالْعَطْف الْمُبَالَغَة بِاعْتِبَار الْكَثْرَة دُون التَّفْضِيل ، كَقَوْلِ الْقَائِل أَصْبَحَ الْأَمِير لَا يُخَالِفهُ رَئِيس وَلَا مَرْءُوس ، وَعَلَى تَقْدِير إِرَادَة التَّفْضِيل فَغَايَته تَفْضِيل الْمُقَرَّبِينَ مِمَّنْ حَوْل الْعَرْش ، بَلْ مَنْ هُوَ أَعْلَى رُتْبَة مِنْهُمْ عَلَى الْمَسِيح ، وَذَلِكَ لَا يَسْتَلْزِم فَضْل أَحَد الْجِنْسَيْنِ عَلَى الْآخَر مُطْلَقًا .

وَقَالَ الطِّيبِيُّ : لَا تَتِمّ لَهُمْ الدَّلَالَة إِلَّا إِنْ سُلِّمَ أَنَّ الْآيَة سِيقَتْ لِلرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى فَقَط فَيَصِحُّ : لَنْ يَتَرَفَّع الْمَسِيح عَنِ الْعُبُودِيَّة وَلَا مَنْ هُوَ أَرْفَع مِنْهُ ، وَالَّذِي يَدَّعِي ذَلِكَ يَحْتَاج إِلَى إِثْبَات أَنَّ النَّصَارَى تَعْتَقِد تَفْضِيل الْمَلَائِكَة عَلَى الْمَسِيح ، وَهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ بَلْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ الْإِلَهِيَّة فَلَا يَتِمّ اسْتِدْلَال مَنْ اسْتَدَلَّ بِهِ ، قَالَ وَسِيَاقه الْآيَة مِنْ أُسْلُوب التَّتْمِيم وَالْمُبَالَغَة لَا لِلتَّرَقِّي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدَّمَ قَوْله (يَا أَهْلَ الْكِتَاب لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّه وَرُسُله وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض وَكَفَى بِاللَّه وَكِيلًا (١٧١) [النساء : ١٧١]) فَقَرَّرَ الْوَحْدَانِيَّة وَالْمَالِكِيَّة وَالْقُدْرَة التَّامَّة ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِعَدَم الِاسْتِنْكَاف ، فَالتَّقْدِير لَا يَسْتَحِقّ مَن اتَّصَفَ بِذَلِكَ أَنْ يَسْتَكْبِر عَلَيْهِ الَّذِي تَتَّخِذُونَهُ أَيّهَا النَّصَارَى إِلَهًا لِاعْتِقَادِكُمْ فِيهِ الْكَمَال وَلَا الْمَلَائِكَة الَّذِينَ اتَّخَذَهَا غَيْركُمْ آلِهَة لِاعْتِقَادِهِمْ فِيهِمْ الْكَمَال .

قُلْت : وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْبَغَوِيُّ مُلَخَّصًا ، وَلَفْظه لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ رَفْعًا لِمَقَامِهِمْ عَلَى مَقَام عِيسَى بَلْ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَة آلِهَة فَرَدَّ عَلَيْهِمْ كَمَا رَدَّ عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ يَدَّعُونَ التَّثْلِيث ، وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى {وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} (٣١) سورة هود، فَنَفَى أَنْ يَكُون مَلَكًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ أَفْضَل ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ طَلَبُوا مِنْهُ الْخَزَائِن وَعِلْم الْغَيْب ؛ وَأَنْ يَكُون بِصِفَةِ الْمَلَك مِنْ تَرْك الْأَكْل وَالشُّرْب وَالْجِمَاع ، وَهُوَ مِنْ نَمَط إِنْكَارهمْ أَنْ يُرْسِل اللَّه بَشَرًا مِثْلهمْ فَنَفَى عَنْهُ أَنَّهُ مَلَك ، وَلَا يَسْتَلْزِم ذَلِكَ التَّفْضِيل ، وَمِنْهَا أَنَّهُ سُبْحَانه لَمَّا وَصَفَ جِبْرِيل وَمُحَمَّدًا ، قَالَ فِي جِبْرِيل {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} (٤٠) سورة الحاقة، وَقَالَ فِي حَقّ النَّبِيّ ﷺ {وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ} (٢٢) سورة التكوير، وَبَيْن الْوَصْفَيْنِ بَوْنٌ بَعِيدٌ ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا سِيقَ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الَّذِي يَأْتِيه شَيْطَان فَكَانَ وَصْف جِبْرِيل بِذَلِكَ تَعْظِيمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ وَصَفَ النَّبِيّ ﷺ فِي غَيْر هَذَا الْمَوْضِع بِمِثْلِ مَا وَصَفَ بِهِ جِبْرِيل هُنَا وَأَعْظَم مِنْهُ ، وَقَدْ أَفْرَطَ الزَّمَخْشَرِيّ فِي سُوء الْأَدَب هُنَا ، وَقَالَ كَلَامًا يَسْتَلْزِم تَنْقِيص الْمَقَام الْمُحَمَّدِيّ ، وَبَالَغَ الْأَئِمَّة فِي الرَّدّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ زَلَّاته الشَّنِيعَة ." [٢٧٦]

وقَال ابْنُ عَابِدِينَ مِنَ الْحَنَفِيَّة نَقْلاً عَنِ الزَّنْدُوسَتِيِّ : أَجْمَعَت الأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَفْضَل الْخَلِيقَة ، وَأَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ أَفْضَلُهُمْ ، وَأَنَّ أَفْضَل الْخَلاَئِق بَعْدَ الأَنْبِيَاء الْمَلاَئِكَةُ الأَرْبَعَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالرُّوحَانِيُّونَ وَرِضْوَانُ وَمَالِكٌ ، وَأَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ أَفْضَل مِنْ سَائِرِ الْمَلاَئِكَةِ .

---

[٢٧٦] - فتح الباري لابن حجر - (٢٠ / ٤٨١)

وانظر :المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٢٢ / ٦٩) وشعب الإيمان - (١ / ٣٢٢) (١٦٢) وشرح ابن بطال - (٢٠ / ٢٢٥) ومجموع الفتاوى لابن تيمية - (٤ / ٣٥٦) والبداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع - (١ / ٥٨) وصيد الخاطر - (١ / ٢٢)

وَاخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَال الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ : سَائِرُ النَّاسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَل مِنْ سَائِرِ الْمَلاَئِكَةِ ، وَقَال مُحَمَّدٌ وَأَبُو يُوسُفَ : سَائِرُ الْمَلاَئِكَة أَفْضَل ."[277]

وقال ابن تيمية رحمه الله : " وَاَللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا ثُمَّ عَلَّمَهُ فَنَقَلَهُ مِنْ حَالِ النَّقْصِ إلَى حَالِ الْكَمَالِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَبَرَ قَدْرُ الْإِنْسَانِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ قَبْلَ حَالِ الْكَمَالِ ، بَلِ الاعْتِبَارُ بِحَالِ كَمَالِهِ ، وَيُونُسُ ﷺ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي حَالِ النِّهَايَةِ حَالُهُمْ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ .

وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ غَلِطَ فِي تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَإِنَّهُمْ اعْتَبَرُوا كَمَالَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ بِدَايَةِ الصَّالِحِينَ وَنَقْصِهِمْ فَغَلِطُوا، وَلَوْ اعْتَبَرُوا حَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ دُخُولِ الْجِنَانِ ، وَرِضَا الرَّحْمَنِ ، وَزَوَالِ كُلِّ مَا فِيهِ نَقْصٌ وَمَلَامٌ ، وَحُصُولِ كُلِّ مَا فِيهِ رَحْمَةٌ وَسَلَامٌ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهِمْ الْقَرَارُ {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد : ٢٣ - ٢٥]}.

فَإِذَا اُعْتُبِرَتْ تِلْكَ الْحَالُ ظَهَرَ فَضْلُهَا عَلَى حَالِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَإِلَّا فَهَلْ يَجُوزُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَعْتَبِرَ حَالَ أَحَدِهِمْ قَبْلَ الْكَمَالِ فِي مَقَامِ الْمَدْحِ وَالتَّفْضِيلِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ .

وَلَوْ اُعْتُبِرَ ذَلِكَ لَاعْتُبِرَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ نُطْفَةٌ ثُمَّ عَلَقَةٌ ، ثُمَّ مُضْغَةٌ ، ثُمَّ حِينَ نُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ ، ثُمَّ هُوَ وَلِيدٌ ، ثُمَّ رَضِيعٌ ثُمَّ فَطِيمٌ ، إلَى أَحْوَالٍ أُخَرَ فَعَلِمَ أَنَّ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَمْ تَقُمْ بِهِ صِفَاتُ الْكَمَالِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا كَمَالَ الْمَدْحِ وَالتَّفْضِيلِ ، وَتَفْضِيلُهُ بِهَا عَلَى كُلِّ صِنْفٍ وَجِيلٍ ؛وَإِنَّمَا فَضْلُهُ بِاعْتِبَارِ الْمَآلِ عِنْدَ حُصُولِ الْكَمَالِ . وَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ مَنْ وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَكْفُرْ قَطُّ أَفْضَلُ مِمَّنْ كَانَ كَافِرًا فَأَسْلَمَ لَيْسَ بِصَوَابِ ؛ بَلِ الاعْتِبَارُ بِالْعَاقِبَةِ وَأَيُّهُمَا كَانَ أَتْقَى لِلَّهِ فِي عَاقِبَتِهِ كَانَ أَفْضَلَ . فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ هُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَغَيْرِ أَوْلَادِهِمْ ؛ بَلْ مَنْ عَرَفَ الشَّرَّ وَذَاقَهُ ثُمَّ عَرَفَ الْخَيْرَ وَذَاقَهُ فَقَدْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ بِالْخَيْرِ وَمَحَبَّتُهُ لَهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالشَّرِّ وَبُغْضُهُ لَهُ أَكْمَلَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ الْخَيْرَ

---

[277] - حاشية ابن عابدين ١ / ٣٥٤ ط بولاق .

وَالشَّرَّ وَيَذُوْقُهُمَا كَمَا ذَاقَهُمَا ؛ بَلْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إلَّا الْخَيْرَ فَقَدْ يَأْتِيه الشَّرُّ فَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ شَرٌّ فَإِمَّا أَنْ يَقَعَ فِيه وَإِمَّا أَنْ لَا يُنْكِرَهُ كَمَا أَنْكَرَهُ الَّذِي عَرَفَهُ ..، فَإِنَّ كَمَالَ الْإِسْلَامِ هُوَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَمَامُ ذَلِكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّه ،وَمَنْ نَشَأَ فِي الْمَعْرُوفِ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهُ فَقَدْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِالْمُنْكَرِ وَضَرَرِهِ مَا عِنْدَ مَنْ عَلِمَهُ ،وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْجِهَادِ لِأَهْلِه مَا عِنْدَ الْخَبِيرِ بِهِمْ ؛ وَلِهَذَا يُوجَدُ الْخَبِيرُ بِالشَّرِّ وَأَسْبَابِه إذَا كَانَ حَسَنَ الْقَصْدِ عِنْدَهُ مِنَ الاحْتِرَازِ عَنْهُ وَمَنْعِ أَهْلِه وَالْجِهَادِ لَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِه . وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعْظَمَ إيمَانًا وَجِهَادًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَكَمَالِ مَحَبَّتِهِمْ لِلْخَيْرِ وَبُغْضِهِمْ لِلشَّرِّ، لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ حُسْنِ حَالِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقُبْحِ حَالِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَلِهَذَا يُوجَدُ مَنْ ذَاقَ الْفَقْرَ وَالْمَرَضَ وَالْخَوْفَ أَحْرَصَ عَلَى الْغِنَى وَالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ مِمَّنْ لَمْ يَذُقْ ذَلِكَ . وَلِهَذَا يُقَالُ : وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ ..."[٢٧٨]

وسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : عَنْ صَالِحِي بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ؟

فَأَجَابَ : بِأَنَّ صَالِحِي الْبَشَرِ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ كَمَالِ النِّهَايَةِ وَالْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ الْبِدَايَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْآنَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مُنَزَّهُونَ عَمَّا يُلَابِسُهُ بَنُو آدَمَ مُسْتَغْرِقُونَ فِي عِبَادَةِ الرَّبِّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الْآنَ أَكْمَلُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَشَرِ . وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَصِيرُ صَالِحُو الْبَشَرِ أَكْمَلَ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ . قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : وَبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَتَبَيَّنُ سِرُّ التَّفْضِيلِ وَتَتَّفِقُ أَدِلَّةُ الْفَرِيقَيْنِ وَيُصَالَحُ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى حَقِّه ".[٢٧٩]

قلت : والصواب قول أهل السنة والجماعة أن خواص البشر خير من خواص الملائكة ، وعوام البشر خير من عوام الملائكة .

ومن أقوى أدلة ترجيح هذا القول ما ورد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَغْرِبَ ، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

[٢٧٨] -الفتاوى الكبري لابن تيمية - (٧ / ٣٩١) ومجموع الفتاوى لابن تيمية - (١٠ / ٢٩٩)

[٢٧٩] -مجموع الفتاوى لابن تيمية - (٤ / ٣٤٣) وانظر عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٦٧ فما بعدها والحبائك في أخبار الملائك) . وفيه مبحث طويل في المفاضلة بين الملائكة وبني آدم من ص : ٢٠٣ إلى ص : ٢٥١ .

مُسْرِعًا ، قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ ، قَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : أَبْشِرُوا ، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَـتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ ، يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَـدْ قَضَـوْا فَرِيضَةً ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى.[280]

والله أعلم .



[280] – سنن ابن ماجة– طبع مؤسسة الرسالة – (١ / ٥١٣) (٨٠١) صحيح

وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية – (٤ / ٣٥٠) ففيه تفصيل الأدلة .

المبحث الحادي عشر
سَبُّ الْمَلاَئِكَةِ

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ أَنْبِيَاءَ اللَّه تَعَالَى أَوْ مَلاَئِكَتَهُ – الْوَارِدَ ذِكْرُهُمْ فِي الْكِتَـــابِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّة الصَّحِيحَة – أَوِ اسْتَخَفَّ بِهِمْ أَوْ كَذَّبَهُمْ فِيمَا أَتَوْا بِهِ أَوْ أَنْكَــرَ وُجُــودَهُمْ وَجَحَدَ نُزُولَهُمْ قُتِل كُفْرًا .

وَاخْتَلَفُوا هَل يُسْتَتَابُ أَمْ لاَ ؟

فَقَال الْجُمْهُورُ : يُسْتَتَابُ وُجُوبًا أَوِ اسْتِحْبَابًا عَلَى خِلاَفٍ بَيْنَهُمْ .

وَعِنْدَ الْمَالِكِيَّة : لاَ يُسْتَتَابُ عَلَى الْمَشْهُورِ .[٢٨١]

قَال الدُّسُوقِيُّ : قُتِل وَلَمْ يُسْتَتَبْ – أَيْ بِلاَ طَلَبٍ أَوْ بِلاَ قَبُول تَوْبَة مِنْهُ – حَدًّا إِنْ تَـــابَ وَإِلاَّ قُتِل كُفْرًا ، إِلاَّ أَنْ يُسْلِمَ الْكَافِرُ فَلاَ يُقْتَل لأَنَّ الإِْسْلاَمَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ .[٢٨٢]

قَال الْمَوَّاقُ : وَهَذَا كُلُّهُ فِيمَنْ تَحَقَّقَ كَوْنُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَة وَالنَّبِيِّينَ كَجِبْرِيل وَمَلَك الْمَـــوْتِ وَالزَّبَانِيَة وَرِضْوَانٍ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ تَثْبُتِ الأَْخْبَارُ بِتَعْيِينِه وَلاَ وَقَعَ الإِْجْمَاعُ عَلَى كَوْنِه مِنَ الْمَلاَئِكَة أَوِ الأَْنْبِيَاءِ ، كَهَارُوتَ وَمَارُوتَ ، وَلُقْمَـــانَ وَذِي الْقَـــرْنَيْنِ وَمَـــرْيَمَ وَأَمْثَالِهِمْ فَلَيْسَ الْحُكْمُ فِيهِمْ مَا ذَكَرْنَا إِذْ لَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ تِلْكَ الْحُرْمَةُ ، لَكِنْ يُـــؤَدَّبُ مَـــنْ تَنَقَّصَهُمْ .

وَأَمَّا إِنْكَارُ كَوْنِهِمْ مِنَ الْمَلاَئِكَة أَوِ النَّبِيِّينَ فَإِنْ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ أَهْل الْعِلْمِ فَلاَ حَـــرَجَ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَوَامِّ النَّاسِ زُجِرَ عَنِ الْخَوْضِ فِي مِثْل هَذَا ، وَقَدْ كَرِهَ السَّلَفُ الْكَلاَمَ فِـــي مِثْل هَذَا مِمَّا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ .[٢٨٣]

---

[٢٨١] – حاشية ابن عابدين ٤ / ٢٣٥ ط مصطفى الحلبي ، والشفاء ٢ / ٤٧٣ ، ونسيم الرياض شرح الشفاء ٤ / ٥٤٧ ، والمغني مع الشرح ٩ / ٢١ ، وقليوبي وعميرة ٤ / ١٧٥ ، وشرح منتهى الإرادات ٣ / ٣٨٦ ، والقوانين الفقهية ص ٣٥٧ الناشر الكتاب العربي .

[٢٨٢] –حاشية الدسوقي ٤ / ٣٠٩ .

وفي الموسوعة الفقهية : " حُكْمُ سَبِّ الْمَلاَئِكَةِ لاَ يَخْتَلِفُ عَنْ حُكْمِ سَبِّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .قَال عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَذَا فِيمَنْ حَقَّقْنَا كَوْنَهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ كَجِبْرِيل وَمِيكَائِيل وَخَزَنَةِ الْجَنَّةِ وَخَزَنَةِ النَّارِ وَالزَّبَانِيَةِ وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ ، وَكَعِزْرَائِيل ، وَإِسْرَافِيل وَرِضْوَانَ ، وَالْحَفَظَةِ ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِمْ .
وَأَمَّا غَيْرُ الْمُتَّفَقِ عَلَى كَوْنِهِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فَلَيْسَ الْحُكْمُ فِي سَابِّهِمْ وَالْكَافِرِ بِهِمْ كَالْحُكْمِ فِيمَنْ قَدَّمْنَاهُ إِذْ لَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ تِلْكَ الْحُرْمَةُ ، وَلَكِنْ يُزْجَرُ مَنْ تَنَقَّصَهُمْ وَآذَاهُمْ ، وَيُؤَدَّبُ حَسَبَ حَال الْمَقُول فِيهِمْ .
وَحَكَى الزَّرْقَانِيُّ عَنِ الْقَرَافِيِّ أَنَّهُ يُقْتَل مَنْ سَبَّ الْمُخْتَلَفَ فِيهِمْ . [٢٨٤]



[٢٨٣] – التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل ٦ / ٢٨٥ ، وحاشية الدسوقي ٤ / ٣٠٩ ، والقوانين الفقهية ص ٣٥٧ ، والشرح الصغير على أقرب المسالك ٤ / ٤٣٥ ، والخرشي ٨ / ٧٤٧ ، ومنح الجليل ٤ / ٤٧٦ ، وشرح منتهى الإرادات ٣ / ٣٨٦ ، وكشاف القناع ٦ / ١٦٨ ، وغاية المنتهى ٣ / ٣٥٩ ، والشفا ٢ / ٤٧٣ .
[٢٨٤] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٢٤ / ١٣٨) والموسوعة الفقهية الكويتية – (٣٩ / ٩) وابن عابدين ٤ / ٢٣٤ ط مصطفى الحلبي الثانية ، معين الحكام ص ١٩٢ – ١٩٣ ، منح الجليل ٤ / ٤٧٦ ، الزرقاني على المواهب ٥ / ٣١٥ ، الجمل على المنهج ٥ / ١٢ ، شرح منتهى الإرادات ٣ / ٣٨٦

المبحث الثاني عشر

أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين

الوجه الأول: الملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فهم أنصح الخلق لبني آدم، والشيطان أغشُّ الخلق لبني آدم لأن الشيطان تعهد بإضلال بني آدم، وإغوائهم وإهلاكهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً،قال عزّ وجل: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧].

الوجه الثاني: والملائكة تأمر العباد بالخير، والشياطين تحثهم على الشر، وتأمرهم به، {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦]. فالذي يعرض عن القرآن الكريم يعاقبه الله سبحانه، بأن يقيض له شيطانًا يكون قرينًا له. قال تعالى: {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} [الزخرف: ٣٧، ٣٨]. ولا يعصم الإنسان من الشيطان إلا ذكر الله فعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لاِبْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ لَهُ : تَسْلَمُ وَتَذَرُ دِينَكَ ، وَدِينَ آبَائِكَ ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ فَغَفَرَ لَهُ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ ، وَسَمَاءَكَ ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ لَهُ : تُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ ، وَالْمَالِ ، فَتُقَاتِلُ فَتَقْتُلُ ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ." "[٢٨٥]

الوجه الثالث: أن ذكر الله يطرد الشياطين عن الإنسان ويحضر الملائكة عنده.

[٢٨٥] - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤٥٣) (٤٥٩٣) صحيح

ولذلك سُمِّيَ الشيطان بالوسواس الخنّاس، فإذا ترك الإنسان ذكْرَ الله جاءه الشيطان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه : {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} قَالَ : الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ[286].

وإذا ذكر الله حفّت به الملائكة فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتَذَاكَرُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ أَظَلَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِى بِهِ الْعِلْمَ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.[287].

الأماكن التي تردها الملائكة

هناك ملائكة سيّاحون في الأرض، يطلبون حِلَق الذكر فإذا رأوا حلقة ذكر قالوا: هلموا إلى حاجتكم.

وذكر الله سبحانه وتعالى أنواع كثيرة منها:

١ ــ قراءة القرآن، فالذي يقرأ القرآن يذكر الله تعالى.

٢ ــ ومن يصلي يذكر الله.

٣ ــ والذي يسبح ويستغفر ويكبر ويهلل يذكر الله، فتجتمع عنده الملائكة، وتبتعد عنه الشياطين.

٤ ــ والذين يطالعون في كتب العلم ويجلسون في الحِلق ويتفقهون في الدين هؤلاء يذكرون الله، فتجتمع عندهم الملائكة.

الأماكن التي تردها الشياطين

١- الذين يشتغلون باللهو من الأغاني والمزامير فهؤلاء تحف هم الشياطين، وتجتمع عليهم وتبتعد عنهم الملائكة.

---

[286] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٩ / ٢٤٢) (٣٥٩١٩) صحيح

[287] - سنن الدارمى- المكنز - (٣٦٤) صحيح

٢- الذي يجعل الصور في بيته لا تدخله الملائكة فعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ[288]..

وعَنِ ابْنِ السَّبَّاقِ ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَخْبَرَتْنِي مَيْمُونَةُ ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا ، قَالَتْ مَيْمُونَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِيَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَنِي ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي ، قَالَ : فَظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً ، فَنَضَحَ مَكَانَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِيَ الْبَارِحَةَ قَالَ : أَجَلْ ، وَلَكِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلاَ صُورَةٌ "[289].

فهذه الصور صور ذوات الأرواح، هذه تطرد الملائكة، فالملائكة لا تدخل هذا البيت الذي فيه مثل هذه الصور، لكن الصور المرخّص بها لاقتنائها للضرورة كحفيظة النفوس وجواز السفر والبطاقة الشخصية هذه رُخِّص بها للضرورة، وهذه لم تتخذ لتعظيمها، فمثل هذه تستثنى، وكذلك الصور التي تداس يُجلس عليها إنما الكلام عن الصور التي تعلق للذكرى وتحفظ للمباهاة بها، هي الممنوعة التي لا ضرورة لها ،فهذه إذا علقت تجلب الشياطين إلى البيوت وتمنع من دخول الملائكة.[290]

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

[288] - صحيح ابن حبان - (١٣ / ١٦٦) (٥٨٥٥) وصحيح البخارى- المكنز - (٣٣٢٢)

[289] - صحيح ابن حبان - (١٣ / ١٦٧) (٥٨٥٦) وصحيح مسلم- المكنز - (٥٦٣٥)

[290] - انظر كتيب ((الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة)) للفوزان

وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٥٣٠٥) رقم الفتوى ٦٦٣٦٥ حكم الاحتفاظ بالصور الفوتغرافية وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١ / ٢٩١) رقم الفتوى ٦٨٠ حكم الصور وتعليقها وحكم التصوير بالفيديو وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٨ / ٢٩٠٧) رقم الفتوى ٥٣٥٨١ مسألة حول التصوير الفوتوغرافي وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٣٢٦٨) رقم الفتوى ٦٣٩٠٤ المقصود بالتصوير الحرام

المبحث الثالث عشر

ثمرات الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة له أثر عظيم في حياة الإنسان فإذا شعر الإنسان بذلك فإنه يتحفّظ، وإذا عرف أنه موكّل به ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار، فإنه يتحفّظ أن يكتبوا عليه شيئًا لا يليق به، فلو درى أن هناك مباحث تتابعه، ألا يتحفظ خشية أن يمسكوا عليه كلامًا أو فعلاً يتضرر بعاقبته؟!

إذن كيف لا يتحفظ من الملائكة وهو لا يراهم؟! البشر تراهم، الذي يراقبك تأخذ حذرك منه.. لكن الملائكة تراك ولا تراها.. البشر ممكن أن تتحصن منهم، قد تدخل البيت أو تغلق على نفسك مكانًا ولا يدرون عنك، لكن الملائكة يدخلون معك في كل مكان، أعطاهم الله عزّ وجل القدرة في أن يصلوا إلى أي مكان أمرهم الله بالوصول إليه، ولهذا نبّهنا فقال الله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠-١٢]. قالها الله – عزّ وجلّ – لنتنبّه.

وهذه ثمرة الإيمان بالملائكة أنّ الإنسان يحصّن نفسه من الأقوال والأعمال السيئة التي تُكتَب عليه، ويحاسب عنها يوم القيامة.

فالله –عز وجل– لم يطلع الناس على شيء من غيبه إلا وكان فيه نعمة عظيمة لهم، ومن فضل الله علينا أنْ عَرَّفَنَا بهذه المخلوقات الكريمة. وجعل الإيمان بها من الإيمان بالغيب الذي يعد أول صفة للمتقين. قال تعالى: { الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) } [البقرة: ١-٣] .

ومن هذه الثمرات :

١. وقوف المؤمن على عظيم قدرة الله تعالى،وذلك واضح في عظم خلق الملائكة.

٢- اطمئنان المؤمن إلى أنه محاطٌ برعاية الله تعالى له، بهؤلاء الخلق العظام الذين يرعون شؤونه، ويسيرون كثيرا من شؤون الكون بإذن الله تعالى.

٣- حثُّ المؤمن على العمل الصالح وزجره عن السيئات، حيث أن الملائكة يترصدون جميع أعماله ويسجلونها عليه.

٤- إغلاقُ باب الخرافة والتخيلات الباطلة والاعتقاد الزائف في الملائكة،وذلك ببيان الحقِّ في شأنهم،وتوضيح ما يخص البشر وينفعهم العلم به من أمر الملائكة.

٥ - أنْ تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشركِ وأدرانه،لأنَّ المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله بهذه الأعمال العظيمة تخلَّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهميةٍ تسهمُ في تسيير أمورِ الكون .

٦ - أنْ يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعونَ ولا يضرون،وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم،ويفعلون ما يؤمرون ،قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) [الأنبياء/٢٦-٣٠] } فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم،ولا يتعلقُ بهم .

٧- شكرُ الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده، حيث وكَّلَ بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك، مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة .

٨- محبةُ الملائكة على ما هداهم الله إليه، من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرهم للمؤمنين واستغفارهم لهم .قال تعالى : {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (١٢) سورة الأنفال ،وقال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٩) سورة غافر٧-٩

٩- الاستقامةُ على أمر الله عز وجل: فإن من يستشعر وجود الملائكة معه وعدم مفارقتها له،ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه، ليستحي مـــن الله ومن جنوده، فلا يخالفه في أمر ولا يعصيه في العلانية أو في السرِّ، فكيف يعصى الله مَـــنْ علم أن كل شيء محسوبٌ ومكتوبٌ؟

١٠- الطمأنينةُ: فالمسلمُ مطمئن إلى حماية الله له، فقد جعل الله عليه حافظًا يحفظـــه مـــن الجن والشياطين ومن كل شرٍّ: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِـــنْ أَمْـــرِ اللّهِ...} (١١) سورة الرعد .

١١- حبُّ الله عز وجل: فالمسلم عندما يؤمن بالملائكة وأعمالهم ويرى كيف أن الله -عز وجل- وكَّل ملائكة بالسماء، وملائكة بالأرض، وملائكة بالجبال، وملائكة بالســحاب .. إلخ وكل ذلك من أجل الإنسان وراحته يتوجه إلى الله بالشكر فتزداد محبة الله في قلبـــه ويعمل على طاعته. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -قَالَ « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَـــةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ،ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَـــاتُوا فِيكُمْ،فَيَسْأَلُهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » .(أخرجه البخاري)[٢٩١]

١٢- الصبر على طاعة الله: ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الصبر، ومواصلة الجهاد في سبيل الله، وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فعندما يصبح المؤمن غريبًا في وطنه وبـــين أهله وقومه حينما يدعوهم إلى الله ويجد منهم الصدَّ والاستهزاء يجد المؤمن من ملائكة الله أنيسًا ورفيقًا يصحبه ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير في طريق الهدى، لأن جنود الله معه، يعبدون الله كما يعبد المؤمن ربه، ويتجهون إلى خالق السموات والأرض كما يتجه، فيشعر بأنه لا يسير وحده إلى الله دائمًا بل يسير مع موكب إيماني مع الملائكة ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السماوات والأرض وباقي مخلوقات الله التي تسبح بحمده.

١٣- اليقين التام بأن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بعلمه بما حوله لأنه لم يستطع الإدراك بوجود عالم من الملائكة وبأنهم معه منذ نفخ فيه الروح إلى أن يموت.

---

[٢٩١] - صحيح البخارى برقم (٥٥٥ و ٣٢٢٣ و ٧٤٢٩ و ٧٤٨٦) ومسلم برقم (١٤٦٤)

١٤-بيان عظمة الله وقدرته في التشكيل والخلق ووضع القوانين التي تمكن العبـــاد مـــن التعايش كل في عالمه بدون التصادم و الإضطراب لتداخل العوالم مع بعضها بالكامل.

١٥ -الإستحياء من معصية الخالق بوجود الملائكة الذين لم ولن يعصوا الله سبحانه.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

أهم المصادر

١. صحيح مسلم- المكنز -
٢. صحيح البخارى- المكنز -
٣. المسند الجامع
٤. التفسير القرآني للقرآن ـ موافقا للمطبوع -
٥. المعجم الكبير للطبراني
٦. الصحيحة للألباني
٧. صحيح الجامع
٨. الحبائك في أخبار الملائك
٩. تفسير الفخر الرازى ـ موافق للمطبوع -
١٠. الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة
١١. التحرير والتنوير لابن عاشور
١٢. شعب الإيمان للبيهقي
١٣. سنن الترمذى- المكنز -
١٤. أيسر التفاسير لأسعد حومد
١٥. تفسير ابن كثير
١٦. فتح القدير للشوكاني
١٧. التفسير المنير ـ موافقا للمطبوع -
١٨. كشف الأستار
١٩. سنن أبي داود ـ المكنز -
٢٠. فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع -
٢١. التفسير الميسر
٢٢. علم الإيمان
٢٣. إغاثة اللهفان لابن القيم
٢٤. فتح الباري لابن حجر
٢٥. مسند الطيالسي
٢٦. سنن ابن ماجه- المكنز -
٢٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم-موافق للمطبوع -
٢٨. تفسير الكشاف
٢٩. تفسير القرطبي ـ موافق للمطبوع -
٣٠. جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ
٣١. الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ
٣٢. أخبار مكة للفاكهي
٣٣. صحيح ابن حبان
٣٤. تفسير الشيخ المراغى ـ موافقا للمطبوع -
٣٥. السنن الكبرى للبيهقي- المكنز -
٣٦. تفسير الآلوسى

٣٧.حاشية الجمل على الجلالين
٣٨.المستدرك للحاكم
٣٩.أخبار مكة للفاكهي
٤٠.شرح النووي على مسلم
٤١.مسند أحمد - المكنز -
٤٢.الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ
٤٣.مسند أحمد (عالم الكتب)
٤٤.التفسير الواضح - موافقا للمطبوع -
٤٥.التفسير الوسيط - الزحيلى -
٤٦.سنن النسائي- المكنز -
٤٧.شرح مشكل الآثار
٤٨.معرفة الصحابة لأبي نعيم
٤٩.شرح الفقه الأكبر ط دار الكتب العربية - بيروت .
٥٠.الفروق في اللغة
٥١.تفسير البيضاوي ط المكتبة التجارية الكبرى .
٥٢. شرح العقيدة الطحاوية ط مؤسسة الرسالة
٥٣.إغاثة اللهفان ط مصطفى الحلبي .
٥٤. شرح مشكل الآثار
٥٥.الحبائك في أخبار الملائك
٥٦.الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة
٥٧.التحرير والتنوير
٥٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري
٥٩.فتاوى واستشارات الإسلام اليوم
٦٠.فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة
٦١.المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم
٦٢.شرح ابن بطال
٦٣.مجموع الفتاوى لابن تيمية
٦٤.البداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع -
٦٥.صيد الخاطر
٦٦.حاشية ابن عابدين ط بولاق .
٦٧.نسيم الرياض شرح الشفاء
٦٨.المغني مع الشرح
٦٩.قليوبي وعميرة
٧٠.شرح منتهى الإرادات
٧١.القوانين الفقهية الناشر الكتاب العربي .
٧٢.حاشية الدسوقي
٧٣.التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل
٧٤.الشرح الصغير على أقرب المسالك
٧٥.منح الجليل

٧٦.كشاف القناع
٧٧.الموسوعة الفقهية الكويتية
٧٨.الزرقاني على المواهب
٧٩.الجمل على المنهج
٨٠.عالم الملائكة الأبرار للأشقر
٨١.الحبائك في أخبار الملائك
٨٢.الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للفوزان
٨٣.الشاملة ٣
٨٤.برنامج قالون

الفهرس العام